مشكلة(القلق الإنساني) في فكر (كيركجور)

دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

إعداد

دكتورة / أسماء منصور محمد عوض حجاز

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب ، من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقىٰ ، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكىٰ ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ لا يأس من رحمته ، ولا قلق مع معيته ، ولا شقاء مع الإيمان بعدله وقدرته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعثه بالهدىٰ ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الضلال والحيرة والقلق إلىٰ نور الهدىٰ واليقين والاطمئنان

وبعد ...

فما أشدها تلك اللحظات التي تسيطر فيها علىٰ الإنسان مشاعر القلق واليأس والخوف ، وما أكثرها تلك صنوف النوائب والمحن التي تبعث مثل هذه المشاعر في نفسه ، وما أغورها وأعتاها وأضراها تلك الهواجس التي تجتمع عليه في تلك اللحظات تسائله عن وجوده وحياته ، عن معاناته وآلامه ، عن بدايته ونهايته ؛ من أين جاء ...؟! ولم جاء ...؟! وإلىٰ أين ينتهي به المصير....؟!

كم من إنسان سلبت منه هذه المشاعر كل رغبة في الحياة ، وانتهت به إلىٰ الانتحار ، وكم من غيره انحرفت به نحو الإلحاد .

إنه بالرغم من أن تعرض الإنسان لمثل هذه المشاعر يعد أمراً طبيعياً ، وبالرغم من وضع علماء النفس سلسلة انفعالات الخوف علىٰ رأس قائمة الانفعالات الأصلية التي نلتقي بها لدىٰ المولود الصغير؛ فإن سيطرة تلك المشاعر علىٰ الإنسان وتجاوزها للحد الطبيعي يعد أمراً بالغ الخطورة ، ومن هنا كان المأوىٰ الذي يلتجئ إليه الوجود البشري للاحتماء به من ضربات

القدر ، ومن قسوة هذه المشاعر وشدتها أبرز متطلبات وأهداف الفكر الإنساني ؛ فالفكر الإنساني في جانب كبير منه ليس إلا سعياً وبحثاً عن هذا المأوىٰ ؛ فالعقائد والأخلاق والقانون والطب ...ألخ ليست في صميمها إلا محاولات باحثة عن كيفية توفير الأمن النفسي والطمأنينة القلبية للإنسان.

ولكن هل استطاع الفكر الإنساني أن يصل إلىٰ ذلك المأوىٰ ؟ هل كان في استطاعة عقيدة من العقائد أو فلسفة من الفلسفات أن تمنح الإنسان الطمأنينة وتكون له كهف الأمان وحصن الاطمئنان ، مجيبة إياه عن كل ما يدور في خلده من أسئلة واستفهامات ؟

إننا بهذه الدراسة نحاول أن نقدم إسهاماً في الإجابة علىٰ تلك الأسئلة من خلال تحليل ونقد آراء الفيلسوف الوجودي (كيركجور)(١) في نوع من أهم أنواع القلق؛ ألا وهو(القلق الإنساني) أو ما عرف بين الباحثين بـ(القلق الوجودي) أو(الميتافيزيقي).

وإنما وقع اختيارنا علىٰ دراسة مشكلة (القلق الإنساني) في فكر كيركجور بصفة خاصة لعدة أسباب أولها : أن كيركجور أبرز أعلام الفكر الوجودي ؛

---

(١) ننبه بداية علىٰ أنه نظراً للاختلاف الكبير في طريقة كتابة اسم (كيركجور) في المصادر والمراجع العربية؛فإننا سنوحد رسم اسمه بهذا الشكل (كيركجور) إلا في بيان أسماء المراجع والمصادر فسنتبع طريقة كل مؤلف في رسم اسم كيركجور في عنوان مؤلفه. وإنما تخيرنا هذا الرسم دون غيره لأنه الرسم الذي صححه د/ إمام عبد الفتاح نقلاً عن ولتر لوري ، وهو من كبار المتخصصين في هذا الفيلسوف حيث وضح أن المقطع الأخير من اسمه(Gaard) يكتب (جور).انظر : كيركجور رائد الوجودية ، د/ إمام عبد الفتاح إمام ، الجزء الأول (حياته وأعماله) هامش ص: ١٩ دار التنوير بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

فقد كان بمثابة الأب الروحي لكل من شعبتي الوجودية المؤمنة والملحدة علىٰ حد سواء ، والفكر الوجودي كما قرر المؤرخون كان أشد الفلسفات عناية بدراسة المشاعر والعواطف الإنسانية ؛ فلم تهتم أي فلسفة من الفلسفات بدراسة مشاعر القلق واليأس والألم والمعاناة والاغتراب مثلما اهتمت الفلسفات الوجودية بها ؛ و(شعور القلق) بصفة خاصة قد اعتبره الفكر الوجودي الشعور الأنطولوجي الأساسي .

ثانيها: أن كيركجور كان أول من اهتم بدراسة القلق من أعلام الوجودية ؛ بل كان أيضـاً أبعدهم مدىٰ في تحليل هذا الشعور كما قرروا هم أنفسهم .

ثالثها: وهو الأهم: أن كيركجور ساد فكره ومؤلفاته نزعة تبشيرية تنصيرية ؛ فبالرغم من هجوم كيركجور علىٰ الكنيسة ورجالها ؛ إلا أن كتاباته كما قرر الباحثون كانت بمثابة نداء موجه إلىٰ الكافة لكي يصيروا مسيحيين ؛ فكثير من كتبه فيها مجهود فريد لعرض المسيحية علىٰ نحو يحمل القارئ علىٰ اتخاذ قرار بالنسبة إليها ، وقد نظر إليه كثير من المؤرخين باعتباره مصلحـاً بروتستانتيـاً من طراز لوثر و كالفن ؛ وكان كيركجور نفسه يقول إنه رجل دين وليس فيلسوفـاً ، وفي دراسة كيركجور للقلق بصفة خاصة جعل من المسيحية ، أو العيش وفقـاً لمقتضيات العقيدة المسيحية العلاج الأمثل للقضاء علىٰ القلق الإنساني .

ومن هنا فإن عرض فكر كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) ونقده في ضوء العقيدة الإسلامية يعد بمثابة مقارنة بين دراسة مشكلة (القلق الإنساني) في ظل العقيدة المسيحية ، وبين دراستها في ظل العقيدة الإسلامية ، واستبيان لفوارق التصور في طبيعتها وبواعثها وعلاجها في كلتا العقيدتين، ووقوف علىٰ مدىٰ قدرة كل من العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية علىٰ الوصول بالإنسان إلىٰ

الطمأنينة والراحة النفسية . وإثبات للفرق بين كلتا العقيدتين في مواجهة تلك المشكلة.

هذا وبالإضافة إلىٰ تلك الأسباب السالفة جميعها فإن (الجانب النفسي) من الإنسان علىٰ جلالته ، وما له من أهمية في توجيه حياة الإنسان ، مغموط الحق في الفكر الإسلامي ، أو لم يلق العناية الدقيقة التي لقيتها جوانب أخرىٰ ، ففي توجيه الباحثين والدارسين أقلامهم للكتابة في هذا الجانب سدٌّ لفراغٍ ملموس في المكتبة الإسلامية الحديثة .

وإذا كان العديد من الدراسات قد تكفل بعرض الفكر الوجودي ووضعه في ميزان الإسلام ؛ فإن تلك الدراسات كانت عامة، ولا نجد بينها ما يفرد مبادئ وجزئيات فلسفة كل فيلسوف وجودي بالتحليل والنقد في ضوء الإسلام إلا في القليل النادر؛ فلا توجد ـ علىٰ حد علمي ـ دراسة واحدة خصت (مشكلة القلق الإنساني في فكر كيركجور) بالتحليل والنقد في ضوء الإسلام .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين ؛ اختص التمهيد ببيان موقع المشاعر والعواطف الإنسانية من الفكر الوجودي ، ثم جاء الفصل الأول عارضـاً لمفهوم القلق وأنواعه وبواعثه وعلاجه في فكر كيركجور ، تبعه الفصل الثاني مقومـاً وناقداً لهذا الفكر في ضوء العقيدة الإسلامية .

الباحثة

مدخل

موقع (المشاعر والعواطف الإنسانية) من الفكر الوجودي

أكد العديد من المؤرخين للفكر الفلسفي علىٰ أن المشاعر والعواطف والأحوال الشعورية الذاتية لم تنل حظها من الاهتمام والدراسة علىٰ مدىٰ تاريخ الفكر الفلسفي إلا مع ظهور الفكر الوجودي ؛ فقد " كان هذا الجانب مهملاً من جانب الفلسفة ، ثم تحول منها إلىٰ موضوع من موضوعات علم النفس. لقد ظنت الفلسفة التقليدية ـ وقد سيطر عليها أنواع من المذهب العقلي ـ أن المشاعر المتغيرة والأحوال المتقلبة والتأثيرات التي تبدو علىٰ العقل الإنساني ليست من الموضوعات المتصلة بعمل الفيلسوف ".(١)

لكن مع ظهور الوجودية وجهت الأنظار نحو الحياة العاطفية للإنسان(٢)؛ واعتبرت دراسة المشاعر والعواطف والأحوال الشعورية الذاتية

(١) في الفكر الحديث والمعاصر د/ علي عبد المعطي محمد ،ص٢٨بتصرف ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٢م. وانظر:الوجودية جون ماكوري ترجمة/ د إمام عبد الفتاح إمام ،مراجعة / د فؤاد زكريا ص١٧ .دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.

(٢) كان لظروف نشأة الوجودية الأثر الأكبر في هذا التوجه نحو الحياة العاطفية للإنسان ؛ فقد كان لقيام الحربين العالميتين، وما أصاب الإنسان الأوربي خلالهما من محن وفظائع وأزمات الأثر الواضح في انصراف الإنسان عن التفكير المجرد واندفاعه نحو نفسه ووجدانه .انظر: فلاسفة وجوديون : فؤاد كامل عبد العزيز ص ٨، ٩ مختارات الإذاعة والتلفزيون .جدل العقل والوجود دراسة في فلسفة هيجل وكيركجور،علىٰ حنفي محمود ، تقديم د/ علىٰ عبد المعطي محمد ص ٢٦٥دار المعرفة الجامعية

موضوعـاً للفلسفة بل ومنهجاً لها ؛ وأعطىٰ فلاسفة الوجودية من كيركجور إلىٰ هيدجر وسارتر تحليلات عميقة للأحوال الشعورية الذاتية مثل القلق والضجر والألم والغثيان ، مبينين أن مثل هذه المشاعر ذات مغزىٰ بالنسبة إلىٰ الفلسفة .[1]

وقد كان كيركجور فيما نص المؤرخون " أول من جذب انتباهنا إلىٰ ظاهرة الانفعالات بمدلولها الفلسفي ". [2]

وهنا قد يتساءل البعض عن الكيفية التي أخذت بها المشاعر والعواطف هذه المكانة من الفكر الوجودي ؟

ونجيب بأنه لما كان الوجوديون قد جعلوا مدار اهتمامهم (الوجود الإنساني الفردي المشخص) فإنهم قد قرروا أن شعور الفرد بوجوده كشخص يبدأ بمعايشة الواقع وجدانياً أكثر منه عقلياً ؛ فـ" الشعور بالوجود ـ من وجهة

= الإسكندرية .١٩٨٥م، مدخل إلىٰ الفلسفة المعاصرة د/ محمد مهران ص٨٩ دار الثقافة للنشروالتوزيع١٩٨٤م.

(١) انظر : الوجودية ص ١٧،في الفكر الحديث والمعاصر ص ٢٨. درست الفلسفة المشاعر والأحاسيس والأحوال المزاجية والانفعالات منذ أفلاطون وأرسطو حتىٰ العصور الحديثة ، لكن الفلاسفة لم يهتموا بدراسة فلسفة الوجدان أو المشاعر إلا إلىٰ الحد الذي تعني فيه هذه الدراسة بحثاً عقلياً للانفعالات والعواطف ، أما أية فلسفة للمشاعر بمعنىٰ الفلسفة التي تتحكم فيها المشاعر فكانت تستبعد علىٰ أساس أنها لا ترتفع إلىٰ مرتبة الفلسفة ،إذ كان يبدو أنها لا تستجيب للمطالب الصارمة للحقيقة."انظر: الوجودية ص ١٧، و٢٢٤.

(٢) الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر د/ صفاء عبد السلام جعفر٢٥٨منشأة المعارف الإسكندرية ،٢٠٠٠م.

نظرهم ـ لا يكون قوياً عن طريق الفكر المجرد ؛ لأن الفكر المجرد انتزاع للنفس من تيار الوجود الحي ، وانعزال في مملكة أخرىٰ تذهب منها الحياة المتوترة الحادة لا يسودها فعل وحركة ؛ بل صيغ خارجية عن الوجود لا تنبض بدمه ؛ إنما يبلغ الشعور بالوجود أعلىٰ درجة في الفعل الباطن الذي أنشب أظفاره في الحياة المضطربة ؛ أي في حالة النزوع المشبوب بالعاطفة". [1]
إن" الشعور بالوجود في حال الألم ـ مثلاً ـ أقوىٰ منه في حال المعرفة بالألم ؛ إذ الأول اتصال مباشر بين الذات والوجود ، بينما في حال المعرفة اتصال غير مباشر".[2]

يقول الدكتور محمد ثابت الفندي : " إن الوجودية أدركت أن للوجود الإنساني خاصيته التي لا نصل إليها بالعقل أو عن طريق التصورات والماهيات العقلية ؛ لأن هذه تحجب عنا وجودنا في خصوصيته ، ورأت أن خطوات الفيلسوف نحوه يجب أن تكون تجربة تجعلنا حاضرين فيه ، وينكشف إلينا فيها مباشرة ، ومثل هذا الاقتراب من وجودنا إنما يكون بالمشاعر والعواطف والوجدان لا بالعقل ".[3]

---

(١) الزمان الوجودي عبد الرحمن بدوي ١٥٥ ط/٣ دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٣م.وانظر:دراسات في الفلسفة الوجودية عبد الرحمن بدوي ٢٩١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط/ ١، ١٩٨٠م ١٤٠٠ه .

(٢) دراسات في الفلسفة الوجودية ص٣٠٠ وانظر : الزمان الوجودي١٧٩ .

(٣) مع الفيلسوف د/ محمد ثابت الفندي ص ١٢٥،١٢٦ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت١٩٨٠م .

ومن هنا أكد الوجوديون علىٰ أنه "لا حقيقة عند الفرد إلا ما يحياه وينفعل له".[1]

يقول كيركجور: " إن النتائج التي تتوصل إليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة، وهي وحدها الكافية في البرهنة ".(٢) ويقول لويس لافيل: "عبارة (أنا أشعر إذن أنا موجود) تعبر علىٰ نحو أفضل من عبارة ديكارت (أنا أفكر إذن أنا موجود) ؛ عن الخصوصية الأصيلة والتي لا ترد إلىٰ غيرها للذات الفردية ؛ فمن(أنا أقلق) تبدأ الفلسفة ".[3]

وقد جعل الوجوديون لبعض المشاعر الأهمية الكبرىٰ والأساسية في الكشف عن الوجود الإنساني الفردي ، وإذا كانوا كعادتهم لم يتفقوا علىٰ تحديد هذه المشاعر؛ فإن الغالبية العظمىٰ منهم قد عولوا علىٰ المشاعر المؤلمة التعسة ، مثل القلق واليأس والألم والضجر والملل والغثيان ؛ ف"

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية ص٩ .

(٢)نقلاً عن :المذاهب الوجودية من كيركجور إلىٰ جان بول سارتر ريجيس جوليفيه ، ترجمة / فؤاد كامل ، مراجعة محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ٣٧.دار الآداب بيروت ط/ ١، ١٩٨٨م . وانظر معنىٰ الوجودية (دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية) عبد المنعم الحفني ص٢٨.منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

(٣) مع الفيلسوف ص ١٢٦.وانظر : الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ،د/ محمد غلاب ،ص ١٥ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م .

من خلال الوقائع المؤلمة يتجلىٰ الوجود الإنساني عند الوجوديين المعاصرين".(١)

يقول كيركجور :" لا شيء يستطيع أن يقوي الشعور بالوجود كالهم والقلق ، والإنسان يشعر وهو في الأسىٰ أنه حي موجود أكثر بكثير مما يشعر بذلك وهو في السرور".(٢) ويقول لويس لافيل :" الألم يقدم لنا عن الوجود إحياءه الوحيد وحضوره الوحيد الذي لا ينكر".(٣)

وإذا كان بعض الوجوديين قد رأىٰ أن الفرح والأمل هي مشاعر هامة ؛ فإن هؤلاء كانوا قلة بين الوجوديين(٤)، أو كما صرح ماكوري" حالات استثنائية بالنسبة إلىٰ النزعات الوجودية ".(٥) وعمومـًا فإن" المعنىٰ المأساوي للحياة هو الذي يسود بين الوجوديين ، أما محاولة إصلاح الميزان وتشجيع شعور الأمل فلم تأت إلا في مرحلة متأخرة وكانت أقل وضوحـًا " .(٦)

---

(١) مع الفيلسوف ١٢٦ . الحياة الكريمة بيرتون بورتو ، ترجمة د/ أحمد حمدي محمود ١٢٥ .سلسلة الألف كتاب الثاني الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣م. وانظر الوجودية١٦، ٢٣٧ و ٢٤٩.

(٢) المذاهب الوجودية ٤٣ .

(٣) مع الفيلسوف ١٢٦ .

(٤) انظر : الوجودية ٢٣٧ .

(٥) الوجودية ٣٨٩.

(٦) الوجودية ٢٣٨ .



الفصل الأول
مفهوم القلق وأنواعه وبواعثه وعلاجه في فكر كيركجور

المبحث الأول : مفهوم القلق في فكر كيركجور.

المبحث الثاني : أنواع القلق وبواعثه في فكر كيركجور.

المبحث الثالث : علاج القلق في فكر كيركجور.



الفصل الأول :

مفهوم القلق وبواعثه وأنواعه وعلاجه في فكر كيركجور

يعتبر شعور (القلق)(١) أهم عناصر العاطفة التي عنىٰ بدراستها الفكر الوجودي عامة (١) وكيركجور بصفة خاصة (٢)؛ فقد نظر الوجوديون إلىٰ

(١) ينبه ماكوري على أن كلمة(القلق)هي التعبير الذي جرى على أقلام الكتاب لترجمة لفظ:(Angoisse) المشتق من الكلمة اللاتينية :(Angustiae) ومعناها الطريق المحصور أو الضيق ، وأن لفظة (القلق Anxiety) أفضل تعبير لترجمة كلمة(Angst)الألمانية وما يشابهها ، وأنها الكلمة التي استخدمت في الترجمة الإنجليزية لكتاب هيدجر (الوجود والزمان) ؛ولكنها لم تكن ترجمة مقنعة تماماً ؛ لأنها توحي بألوان القلق في الحياة اليومية المألوفة ، أكثر بكثير مما تعبر عن ذلك الانفعال النادر والدقيق الذي يود الوجوديون أن يشيروا إليه بالكلمة الألمانية(Angst)،ولذلك يشير مترجموا هيدجر في حاشية إلى أن كلمات مثل(التوجس Uneasincss) و(الضيق Malaise) قد تكون من بعض الوجوه ترجمات أفضل ؛ لكنهم يبقون على كلمة القلق .ويرى ماكوري أن كلمة القلق ترجمة مقبولة أكثر من كلمة (الجزع Dread)التي توجد في الترجمات الانجليزية لمؤلفات كيركجور،أو كلمة (الكرب Anguish) حيث تطابق الكلمة الانجليزية في الواقع الكلمة الفرنسية Angoisse إلى حد بعيد وهو يعترض على كلمة(الجزعDread) بأنها توحي في استخدامها في اللغة الإنجليزية بشيء يقترب جداً من الخوف ، مع أن الوجوديين جميعاً يتفقون على أنهم عندما يتحدثون عن القلق فإنهم لا يقصدون الخوف ؛ ومن ثم كانت كلمة الكرب أفضل ، إلا أن استخدامها المألوف يوحي بالألم الحاد .وعلىٰ حين أن القلق مؤلم يقينـًا فليست فكرة الألم هي الاهتمام الرئيس في المناقشات الفلسفية للقلق. انظر: الوجودية : ٢٣٨.

القلق باعتباره "الشعور الأنطولوجي الأساسي".(٣) و" أكثر المشاعر والعواطف التصاقاً بالذاتية وبالجانب الداخلي للموجود الفرد ".(٤)

يقول ريجيس جوليفيه :" القلق كان أهم الأحوال العاطفية التي عنىٰ بدراستها كيركجور ، ونظر إليه هيدجر باعتباره أعمق شعور للآنية ، ومبدأ جميع المشاعر الأخرىٰ ومنبعها ".(٥) كما نص برديائيف - وهو من أبرز رواد الفكر الوجودي - في كتابه(الحلم والواقع)علىٰ أن" العنصر الأساسي في الوجود الإنساني هو القلق".(٦) كذلك " أكد سارتر في كتابه(La

=

(١) معنىٰ الوجودية: ص٢٢ وانظر : (كيركجرد)تأليف/ فريتيوف برانت ، ت/ مجاهد عبد المنعم مجاهد ص٨٢ سلسلة أعلام الفكر العالمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/ ١ ، ١٩٨١م.

(٢) انظر: تطور الجدل بعد هيجل م/٣ جدل الإنسان د/ إمام عبد الفتاح ص٤٣، دار التنوير،بيروت ط/ ٣،٢٠٠٧م الزمان الوجودي ص ١٧٠. دراسات في الفلسفة الوجودية ص ٢٩٨ .

(٣) الوجودية ص ٢٣٨، وانظر: المرجع نفسه ٢٣٩، ٢٤٠. دراسات في الفلسفة الوجودية ١٧.

(٤) جدل الإنسان ص٤٣ .

(٥) المذاهب الوجودية٨٣. وانظر الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر٢٥٧وما يليها.

(٦)الحلم والواقع نيقولاس برديائف،ترجمة / فؤاد كامل ، ص٥. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

trascendance de pego علىٰ المعنىٰ الأنطولوجي لهذا المفهوم ،جاعلاً من القلق الصورة الوحيدة لارتباط العالم مع أناي".(١)

ولكن بالرغم من هذا الاهتمام المشترك بين جميع الوجوديين بشعور القلق، وتلك الأهمية العظمىٰ التي خولوها له في الكشف للذات عن وجودها ؛ فإن هناك اختلافات فيما بينهم في تصورهم لمفهومه وبواعثه وعلاجه ؛ يقول ماكوري: "علىٰ الرغم من أنني أستخدم كلمة واحدة هي القلق ، لتشير إلىٰ ظاهرة يناقشها فلاسفة وجوديون مختلفون ، فينبغي أن يكون واضحًا أن الكلمة لا تعني بدقة معنىٰ واحداً عند كل كاتب يستخدمها ؛ فكل من كيركجور وهيدجر وسارتر يفهم القلق علىٰ نحو مختلف بعض الشيء ، ومع ذلك فهناك تقارب وثيق بينهم".(٢)

إن وصف كيركجور للقلق يجعل منه قلقًا إزاء الحرية ، أما هيدجر فهو يدرس القلق بدلاً من ذلك علىٰ أنه رهبة العدم ، ويقابل سارتر بين هذين التفسيرين للقلق ويرىٰ أنهما متكاملان أكثر من كونهما متناقضين ، ثم يستطرد بعد ذلك فيعرض تفسيره الخاص.(٣)

---

(١) من فلسفة الوجود إلىٰ البنيوية ٧٢ دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية ت.أ ساخارفا ، ترجمة وتقديم / أحمد برقاوي ،دار دمشق .ط/ ١ ١٩٨٤م.

(٢) الوجودية ٢٣٩ و ٢٤٥وانظر : في الفكر الحديث والمعاصر ١٣٥، ١٣٦.وانظر فلاسفة وجوديون ٢٧.

(٣)انظر: سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ، وليام هبين ترجمة سعاد فركوخ ص:٦٥الطبعة العربية الأولىٰ ٢٠١١م أزمنة للنشر والتوزيع عمان ، الوجودية٢٣٩، ٢٤٥ويرىٰ ماكوري أن حكم سارتر علىٰ هذا الاختلاف صحيح في جوهره ؛

وقد كان كيركجور فيما نص الباحثون(١) هو أول من حلل شعور (القلق) تحليلاً وجوديًا، واعترف الوجوديون من بعده له بهذا الفضل ؛ فقد اعترف هيدجر وسارتر بأنهما أخذا هذا المصطلح منه ؛ يقول هيدجر: (إن من سار إلىٰ أبعد مدىٰ في تحليل مفهوم القلق هو سرن كيركجور). [٢]

لقد كان موضوع (القلق) واحداً من أهم الموضوعات الرئيسية في الفكر الكيركجوري؛ حيث تعرض كيركجور لشعور القلق في العديد من كتبه ومقالاته(٣)، بل أفرد أحد مؤلفاته للحديث عنه ؛ وهو كتابه الذي عرف في الإنجليزية ـ فيما ينص ماكوري ـ ب(مفهوم القلق The Concept of Dread)(٤)، الأمر الذي يعكس لنا مدىٰ اهتمام كيركجور بهذا الشعور .

= فكيركجور يؤكد أهمية الحرية في نظرته إلىٰ القلق ، رغم أنه لم يلغ التناهي ، في حين أن هيدجر يؤكد التناهي ، رغم أنه لم ينس الحرية .

[١] انظر :الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر ٢٥٨،الوجودية ص ٢٣٩،مقالات عن الوجودية (أبو الوجودية) أنيس منصور ص ٥٢ دار الجمهورية . في الفكر الحديث والمعاصر١٣٥ . جدل العقل والوجود ٣٤٤.

[٢] انظر:الوجودية ص ٢٣٩، في الفكر الحديث والمعاصر ص١٣٥ .

[٣] مناقشة كيركجور المستفيضة لشعور القلق حواها كتابه (مفهوم القلق)، ولكنه تعرض لدراسة القلق في العديد من مؤلفاته ؛ ككتاب (إما ....أو)و(الخوف والقشعريرة) و(اليوميات) و(التكرار) وغيرها ؛ يقول روبرت هيس عن كتاب (التكرار) : " هناك نغمة سائدة في هذا الكتاب تكشف عن القلق وعدمية الوجود وهي نغمة لا تخطئها العين ولا يمكن أن تتجاهلها " نقلاً عن: كيركجور رائد الوجودية د/ إمام عبد الفتاح ، الجزء الثاني (فلسفته) ص: ٣٣٨. دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.

[٤] الوجودية ص ٢٤٠.

فما مفهوم (القلق) في فكر كيركجور ؟ وإذا كانت مشاعر مثل الخوف والجزع والرعب والفزع والهلع كلها مشاعر ترتبط بالقلق وببعضها البعض داخل أسرة (انفعالات الخوف) العامة ؛ فهل فَرَّق كيركجور بين هذه المشاعر و القلق؟ ما بواعث أو مصادر وجود القلق من وجهة نظره ؟ هل الشعور بالقلق يعتبر شعوراً سلبيًا في جميع الأحوال ؟ أم أن هناك إيجابيات للشعور به ؟ وإذا كان الشعور بالقلق شعوراً سلبيًا فكيف يمكننا من وجهة نظر كيركجور التخلص منه؟ وإذا كان له إيجابيات فما أهم هذه الإيجابيات من وجهة نظره ؟

هذا هو ما سنناقشه في هذا الفصل من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم (القلق الإنساني) في فكر كيركجور.

المبحث الثاني : أنواع (القلق الإنساني) وبواعثه في فكر كيركجور.

المبحث الثالث : علاج (القلق الإنساني) في فكر كيركجور.

****

المبحث الأول :

مفهوم (القلق الإنساني) في فكر كيركجور

اتخذت العواطف والمشاعر في الفكر الوجودي دلالات فلسفية جديدة مغايرة لدلالاتها اللغوية والنفسية ، بل والفلسفية السابقة عليه ؛ حيث انصب تركيز الفكر الوجودي بصفة عامة علىٰ الدلالات الوجودية (الأنطولوجية) لهذه المشاعر، أو بعبارة أوضح معناها المأخوذ من طبيعة دورها في تكوين الذات المفردة ، والكشف لهذه الذات عن وجودها .

لقد كان الفكر الوجودي بصفة عامة ، وكيركجور بصفة خاصة بداية لظهور القلق بمفهوم جديد ؛ فإذا كان القلق بكافة مشتقاته يدل في لسان العرب علىٰ الانزعاج والحركة والاضطراب(١) وفي اصطلاح علماء النفس عُرف بأنه :" حالة من الخوف الشديد الذي يتملك الإنسان ، ويسبب له كثيراً من الكدر والضيق ، أو هو علامة ظاهرة لصراع مستمر في أعماق اللاشعور"[٢]؛ فإنه في الفكر الوجودي "شعور حاد بأن الإنسان ألقي في الكون دون أن يريد ، وأنه محمول حملاً علىٰ عمليات اختيارية لا يستطيع أن يرىٰ جميع عواقبها

---

(١) جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (قلق) :" القلق : الانزعاج. يقال: بات قَلِقـًا، وأقلَقَهُ غيره قَلِقَ الشيءُ قَلَقـًا، فهو قَلِقٌ ومِقْلاق....وأَقْلَقَ الشيءَ من مكانه وقَلَقَه: حركه. والقلق أن لا يستقر في مكان واحد".

(٢)القلق الإنساني (مصادره ـ تياراته ـ علاج الدين له)د/ محمد ابراهيم الفيومي ٥٧.ط/ ٣ مكتبة الأنجلو ١٩٩١م

ونتائجها ، ولا يستطيع تدبيرها كلها ، وهو شعور مؤلم ولكن نبيل لأنه يدفعنا إلىٰ الوجود الصحيح ".[1]

جاء في المعجم الفلسفي للدكتور الحفني أن القلق : " مقولة وجودية ؛ وهو الشعور الأساسي للوجود في العالم، ينبثق من شعور الآنية أنها ملقاة هناك في العالم ، ومرغمة علىٰ الاختيار ، ويفترض وجود خطر يتهددنا ، ويكشف الموجود لذاته ، ويعرض عليه (أنًّا) ليحققها ، ويضع الإنسان وجهـًا لوجه أمام نفسه باعتباره لم يوجد بعد ؛ وإنما سيوجد بواسطة الاختيار، والاختيار حرية ومخاطرة ".[2]

وجاء في موسوعة لالاند الفلسفية أن القلق " يطلق عادة منذ أعوام علىٰ الاكتئاب أو المخافة الماورائية والأخلاقية Inquietude.إن الفلاسفة المعاصرين بعدما استرسلوا ردحـًا من الزمن في استعمال كلمة كآبة ومخافة راحوا يستعملون اليوم كلمة (قلق) أو(حصر) تدليلاً علىٰ هذا الوعي لمصيرنا الشخصي الذي يجتذبنا من العدم في كل لحظة ، فاتحـًا أمامنا مستقبلاً يتقرر فيه وجودنا ".(٣)

---

(١) هذه هي الوجودية بول فولكييه ، ترجمة محمد عياتي ٦٩دار بيروت للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٥٦م.

(٢) المعجم الفلسفي،د/ عبد المنعم الحفني ص٢٦٤الدارالشرقية مصر ط/ ١، ١٤١٠ ه ١٩٩٠م ،وانظر:الموسوعة الميسرة في الفكر الإسلامي والاجتماعي د/ كميل الحاج ، ص٤٥٥، ط/ ١، ٢٠٠١م مكتبة لبنان ناشرون .

(٣) موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب/ خليل أحمد خليل ، إشراف / أحمد عويدات م١/ ٧٠، منشورات عويدات بيروت ط/ ٢، ٢٠٠١م .المعجم الفلسفي ، د/ جميل صليبا ج١/ ٤٧٥ ، ج٢/ ١٩٩،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان ١٩٨٢م . المعجم

هذا هو المفهوم الذي اتخذه القلق بصفة عامة في الفكر الوجودي ، أما عن مفهوم القلق عند كيركجور بصفة خاصة ؛ فنجد أنه قد أعطىٰ للقلق مفاهيم وتحليلات فلسفية أنطولوجية أيضـًا ؛ لكنها جاءت مختلطة بعلم النفس تارة ، وباللاهوت تارة أخرىٰ ؛حتىٰ قرر د/ إمام عبد الفتاح أن " الكسندر دور A Dru. ـمترجم يوميات كيركجور كان علىٰ حق تمامـًا عندما أشار في تصديره لهذه الترجمة إلىٰ (أن كيركجور استخدم (مفهوم القلق) بمعنىٰ سيكولوجي وديني وفلسفي)".[1]

كذلك نص (فريتيوف برانت) وهو يعرض كتاب(مفهوم القلق) علىٰ أننا " نجد بالنسبة لمفهوم القلق بحثين؛ أولاً: هناك بحث سيكولوجي عن القلق، وثانيـًا: هناك تفسير للقلق بالنسبة للعقيدة المسيحية عن السقوط والخطيئة الأولىٰ".(٢)

لقد وضع كيركجور **تصوراً لتكوين الذات الإنسانية** ، وربط القلق بهذا التكوين ربطـًا وثيقـًا ، كذلك **ربط القلق بسيكولوجيا الحرية**؛حيث كان الحقل الرئيس لفحوصات(فيجليوس هوفنيسس Haufniensis Vigilius:حارس كوبنهجن الليلي) ـ الاسم المستعار الذي وضعه

=

الفلسفي ، د/ مراد وهبة ص٤٩٩، ٥٠٠ ،دار قباء الحديثة ، القاهرة ٢٠٠٧م ،المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية ، اشراف/ د / ابراهيم مدكور١٤٩،ط ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م القاهرة .

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٣٢، ٣٣.

(٢) (كيركجرد) ، فريتيوف برانت ،ص ٨٢.

كيركجور كمؤلف لكتاب مفهوم القلق(١) السيكولوجيا التي مصدرها حرية الإنسان ، والتي تركزت في ظاهرة القلق بشتىٰ أبعادها . ومن ناحية أخرىٰ **ربط كيركجور القلق بلاهوت الخطيئة** ؛ حيث جاء عرضه المستفيض لطبيعة القلق وأنواعه ومظاهره وأصوله الأولىٰ في كتابه (مفهوم القلق) في سياق مناقشته لأصل الخطيئة (خطيئة آدم) عليه السلام ، وفي إطار القصة التي رواها سفر التكوين عن سقوط الإنسان(٢) حتىٰ أنه وضع عنوانـًا فرعيـًا لكتاب(مفهوم

---

(١) تنقسم مؤلفات كيركجورإلىٰ ثلاثة أقسام : القسم الأول مجموعة المؤلفات التي صدرت بأسماء مستعارة والتي أطلق عليها كيركجور اسم المؤلفات الجمالية مثل (إما ...أو) و(خوف ورعدة) و(مفهوم القلق)وتتميز هذه المؤلفات بأنها كتبت بلغة رومانتيكية شاعرية.القسم الثاني:المؤلفات الدينية (الكتب والنشرات والمقالات) وعليها اسم كيركجور كمؤلف لها ،وهي ما أطلق عليها اسم(أحاديث تهذيبية أو إرشادية) القسم الثالث : المؤلفات الفلسفية يتحدث فيها بلغة الفيلسوف وتقع وسطـًا بين المجموعة الرومانتيكية وبين المجموعة الدينية؛ فهي تحمل اسما مستعاراً واسم كيركجور أيضـًا ؛ فكتاب (الشذرات الفلسفية) يوجد اسم المؤلف يوحنا كليماكوس وبجواره اسم المسئول عن النشر سرن كيركجوروكذلك تظهر حاشية ختامية.انظر: الحب في فكر= =سورن كيركجور ، شانتال آن ، ترجمة محمد رفعت عواد ، مراجعة/ إبراهيم فتحي ص ٧، ٨.من مقدمة المترجم المركز القومي للترجمة العدد ١٧٠٢،ط/ ١،٢٠١١م. كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٣٩وما يليها.

(٢) انظر : الوجودية ٢٤٠ ، جدل العقل والوجود ص ٣٤٧. تطور الجدل بعد هيجل ، م/ ٣جدل الإنسان ٥٦.

القلق)هو: دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية (١) كما جاء كثير من تحليلاته لهذا الشعور في هذا الكتاب وغيره ـ كخوف ورعدة ـ مقرونة بذكر قصص الأنبياء المنصوص عليها في الكتاب المقدس .

ومن أشهر التعريفات التي ذكرها كيركجور في مؤلفاته للقلق وتناقلها الباحثون عنه : القلق (نفور عاطف ، وعطف نافر)،(رغبة فيما يخشاه المرء ونفور عاطف...قوة خارجية تأخذ بزمام الفرد ولا يستطيع منها فكاكا؛ بل لا يرغب في هذا لأنه خائف ، وما يخشاه المرء يغريه) ، (القلق هو واقع الحرية كإمكانية مقدمة للإمكانية).[٢]

وأول ما يلاحظه القارئ علىٰ هذه المفاهيم التي وضعها كيركجور للقلق بروز الطابع الجدلي الذي تميز به فكر كيركجور فيها بروزاً شديداً(٣)؛ فهذه

---

(١)انظر:كيركجورد/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٦١،كيركجرد،فريتيوف برانت٨٢ ،الحب في فكر سورن كيركجور٥١ .

(٢)سورين كيركجورد أبو الوجوية د/ فوزية أسعد ميخائيل ١٠٣، ١٠٤دار المعارف مصر ١٩٦٢م. الزمان الوجودي ص١٧٠ ،معنىٰ الوجودية ٢٢،جدل العقل والوجود ٣٤٤، ٣٤٥.في الفكر الحديث والمعاصر :١٣٦ .

(٣)جميع فكر كيركجور يأخذ طابعـًا جدليـًا؛فجميع المقولات الذاتية في فكره مقولات جدلية؛ولكن الجدل الكيركجوري يختلف عن الجدل الهيجلي؛فجدل هيجل كان جدلاً عقليـًا تصوريـًا مجرداً مطرداً متصلاً ؛ حيث تتكون حدوده من تصورات مجردة غير ذاتية وتنتهي إلىٰ المركب الذي يرفع التناقض؛بينما الجدل عند كيركجور جدل ذاتي وجداني(عاطفي)متقطع يسير في وثبات وهو يخلو من فكرة رفع التناقض ويظل في حالة من التعارض والتوتر غير متجانس. انظر:جدل العقل والوجودص، ٣٢٧، ٣٧٤وما يليها..تطور الجدل بعد هيجل ، م/٣جدل الإنسان ص ٣٢.بين برجسون

المفاهيم كلها ملتقي للأضداد والمتناقضات ؛ فالقلق (عطف ونفور، رغبة وخشية ، قوة وخوف، واقع وإمكان)، ولفهم معنىٰ هذه التعريفات التي وضعها كيركجور للقلق، وتلك الطبيعة الجدلية الغالبة عليها ، ودلالاتها الفلسفية والسيكولوجية والدينية فإننا يجب أن نستعرض القلق في فكر كيركجور من عدة جوانب :

الجانب الأول : القلق في ارتباطه بتكوين الذات الإنسانية.

الجانب الثاني : القلق في ارتباطه بسيكولوجيا الحرية .

الجانب الثالث : القلق في ارتباطه بلاهوت الخطيئة .

أولاً : القلق في ارتباطه بتكوين الذات الإنسانية :

مفاهيم وتحليلات كيركجور للقلق تعتمد علىٰ نظريته في تكوين الذات الإنسانية، والوجود الحقيقي الأصيل بالنسبة لها من وجهة نظره ؛ فقد قدم كيركجور " نظرة أنطولوجية للإنسان، تفترض كأساس مسبق أن هناك حقيقة واقعية عليا للفرد، تتجلىٰ في أن وجوده عبارة عن مركب أزلي... وأن البنية الأساسية للإنسان تعتمد علىٰ عوامل ثلاثة هي الجسم والنفس والروح Soma Psyche Spirit العاملان الأولان ينتميان إلىٰ منطقة الزماني ، في حين ينتمي العامل الثالث إلىٰ دائرة الأزلي"(١)؛ فالذات الإنسانية من وجهة نظره ليست مجموعة متجانسة ؛ وإنما عبارة عن علاقة بين مجموعة من الأضداد . يقول كيركجور في كتابه (المرض حتىٰ الموت): " الإنسان مركب

=

وسارتر(أزمة الحرية)حبيب الشاروني ص:٥٧ ،وهامش ص ٥٩،دار المعارف ٩٦٣ م. فلسفة جان بول سارتر د/ حبيب الشاروني ص٣٧منشأة المعارف الإسكندرية .

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٣٥..

من المتناهي واللامتناهي؛ من النفس والجسد ، من الزماني والأزلي، من الضرورة والإمكان...باختصار الإنسان مركب والمركب علاقة بين عاملين ".[1]

ويرىٰ كيركجور أن الوجود الإنساني الأصيل إنما هو وجود الإنسان كروح ؛ فالروح هي أهم خاصية مميزة للإنسان وأكبر شيء دال علىٰ إنسانيته (٢) ؛ فـ " الإنسان موجود ديني ، ومن ثم لا يصبح إنسانـًا حقـًا إلا من خلال ارتباطه بالله ؛ فعلاقته بالأبدية هي التي تؤسس ماهيته كروح ، ومن ثم فالله هو المحور الذي تدور حوله علاقة الذات بنفسها ، وبدون الله لا أستطيع أن أكون أنا ذاتي ، ولا أستطيع أيضـًا أن أكون روحـًا ؛ فلست شخصـًا ما اللهم إلا أمام الله ،

---

(١) المرض حتىٰ الموت كيركجور ، نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٦٥، ينظر كيركجور إلىٰ الإنسان بوصفه نقطة التقاء بين الطبيعة (بجسمه) والروح ، كذلك فإنه مرتبط بالحرية والضرورة ؛ فهو محدود وغير محدود في آن معـًا ، كما أن الوجود الإنساني هو أولاً وقبل كل شيئ وجود في الزمن ؛فالإنسان يولد ويعيش لفترة من الوقت ثم يموت ،ولكنه في ذات الوقت مدعو للوجود ذي الديمومة. وتلك النفس التي لدىٰ كل إنسان منفصل هي نفس عينية ، هي نفس فردية ، هي نفس خاصة به ،ومن الصعب أن نجد شخصين متشابهين تمامـًا عقليـًا وجسمانيـًا ، ولكن بالرغم من هذه الاختلافات فإنه ينطبق علىٰ كل فرد أن نفسه قد أعطيت له باعتبارها مهمة، ويقوم هذا في تقبل وتطوير النفس . انظر:كيركجرد، فريتيوف برانت ١٠٠كيركجور إمام عبد الفتاح ج٢/ فلسفته ٣٣٧ ، دراسات في الفلسفة الوجودية ص٨، ٩. جدل العقل والوجود ٣٤٠.

(٢) انظر : كيركجرد ، فريتوف برانت ١٢١، كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ فلسفته ص٨٠.

وعندما يختار الإنسان ذاته فإنه يختار موقفه تجاه الله ؛ فإما أن يقبل الاعتماد عليه، وإما أن يبتعد بذاته عن الله ، ولا يصبح الإنسان روحًا حقًا إلا بعد أن يلتزم بصور هذا الاختيار ، وإلىٰ أن يفعل الإنسان ذلك فهو ليس شخصًا؛ وإنما ما يزال في المرحلة الوجودية الأولىٰ".(١)

وهنا نتساءل : ما علاقة (القلق الإنساني) بهذا التكوين الخاص و بذلك الوجود الأصيل للذات الذي وضعه كيركجور؟

ونجيب بأن : القلق هو نقطة التقاطع بين تلك العناصر المتضادة التي تتركب منها الذات ؛ فإذا كان الإنسان مركبًا من مجموعة من الأضداد ؛ فإن الصراع لابد وأن ينشب بين تلك الأضداد ، وبالتالي يتعرض الذي هو وحدة منها للقلق ؛ ففي أثناء قيام الذات بعملية صنع نفسها وتحقيق وجودها الأصيل ـ كما سنوضح ـ يبرز القلق معبراً عن الصراع والتوتر والتمزق الداخلي الدائم في جوف الإنسان بين تلك الأضداد التي تتركب منها الذات.

يقول د/ زكريا إبراهيم:" القلق أو الحصر الذي يتحدث عنه كيركجور إنما ينحصر في تلك العلاقة التي تقوم في داخلي بين المتناهي واللامتناهي ؛ بين الزمان والأبدية...وليس في استطاعتي أن أفصل شعوري بالقلق عن موقفي باعتباري كائنًا متناهيًا يجد نفسه إزاء لامتناه يعلو عليه، ولكنه بدونه لابد من أن يتداعىٰ ويسقط".(٢) فـ" القلق هو نقطة التقاطع بين العالمين ؛ العالم الداخلي للإنسان وهو عالم الروح ، وعالم الطبيعة الخارجي ، أو عالم الله وعالم الحيوان ، وينتج من ذلك أنه في آن معًا يسحر ويخيف ؛ إنه يتضمن

---

(١) جدل العقل والوجود ٣٦٠.

(٢) الفلسفة الوجودية د/ زكريا إبراهيم ص ٤١ سلسلة إقرأ ، العدد ١٦١ دار المعارف ،مصر .

إمكانية الخلاص والضياع في وقت واحد ؛ كل شيء يعتمد علىٰ إما أن يختار المرء حياة الروح ، ومن خلالها يدخل مملكة الحرية، وإما أن يظل في حالة الطبيعة ؛ أعني في حالة الحيوانية التي هي الخطيئة".[1]

إن المركب الإنساني نفسه هو أساس القلق ؛ إذ لو لم يكن هناك مركب ما وجد القلق للإنسان سبيلاً[2]؛ ولذا فـ" القلق خاصة تتسم بها الظاهرة البشرية ؛ فالحيوان لا يعرف شيئًا عن القلق ؛ لأن حياته جسدية خالصة ، كذلك لا يعرف الملاك شيئًا عن القلق ؛ لأن حياته عقلية خالصة ؛ أما الإنسان الذي يجمع بين الحس والعقل ، بين الجسد والنفس ؛ فهو يعيش في ظل القلق" .[3]

ومن هنا نجد " القلق عند كيركجور مثله في ذلك مثل اليأس من حيث شموله وكليته ؛ وبالتالي لا يمكن لأي إنسان أن ينجو من القلق ؛ بل إن غياب القلق هو دليل علىٰ القلق ، وإذا ما استشعر إنسان ما بأنه قد تحرر تمامًا وتخلص كلية من القلق ؛ فليكن علىٰ يقين بأنه يخفي قلقه عن نفسه من خلال قلقه علىٰ القلق ، فليس ثمة غياب للقلق علىٰ وجه الإطلاق ، إنه مصدر انفعالاتنا كلها و أساس مشاعرنا جميعًا ".[4]

هذا وإذا كان القلق هو نقطة التقاطع بين العوامل الأنطولوجية المكونة

---

(١) تطور الجدل بعد هيجل ج٣/ جدل الإنسان ، ص٦٠ .

(٢) انظر: الوجودية : ٢٤١.

(٣) الوجودية : ٢٤١، ٢٤٢. وانظر الزمان الوجودي ١٧٠ ، كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٥،

(٤)جدل العقل والوجود ٣٤٦،٣٤٧، وانظر : جدل الإنسان ٥٦، كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤١.

للذات فإنه يرتبط من بين تلك العوامل (بالروح)[1] **بصفة خاصة** فيما يرىٰ كيركجور ؛ حيث " يعتبر القلق المظهر الأول للروح المكلفة بإتمام المركب الإنساني في الحرية".(٢) " القلق إذن هو أساساً قلق الروح ، ومن ثم فإذا ما قل وجود الروح قل وجود القلق ، وإذا غاب وجود الروح أي الحرية انعدم وجود القلق كما هي الحال في الحيوانات".[3]

وعلىٰ ضوء هذا التحليل نفهم قول كيركجور:" احذفوا الوعي بالقلق، وفي استطاعتكم بعد ذلك أن تغلقوا الكنائس ، وأن تقيموا بدلاً منها صالات للرقص".[4]

إن(فيجليوس هوفنيسس) يجهد في إيضاح أنه لولا الروح لما كان هناك الخوف؛ لأن الروح هي التي " تدخل الاضطراب باستمرار علىٰ العلاقة بين

---

[1] الذات الإنسانية عند كيركجور عبارة عن مركب يتألف من الجسد والنفس والذي يرتبط بشكل ديناميكي ذاته مع ذاته،وهذا الارتباط بين المركب ونفسه هو ما يكون الروح،ففي العلاقة بين عاملين تكون العلاقة نفسها هي الحد الثالث ، والحدان يربطان نفسهما بالعلاقة ، وفي العلاقة ، وبواسطة العلاقة .ويعتبر القلق المظهر الأول للروح المكلفة بإتمام هذا التركيب في الحرية ، وفي هذه المهمة فإن الروح تشغل وضعاً مزدوجاً ؛الأول : ما يشكل التركيب بين النفس والجسد ،والثاني : أن تكون روحاً.انظر : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،د/ حبيب الشاروني ص٦٦ ط/ ٢ ١٩٨٤وانظر:الحب في فكر سروين ص ٥٤، كيركجرد ، فريتوف برانت ١٢١، كيركجور د/ إمام ج٢/ ٨٠، جدل العقل والوجود ٣٥٩.

[2] الحب في فكر سورن كيركجور ٥٤ .وانظر كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٢٤٥ .

[3] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٧.

[4] يوميات كيركجور نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٢٣١ .

النفس والبدن أي تحدث عدم الاتزان في المركب ، ولكنها يمكن من ناحية أخرىٰ أن تكون قوة صديقة ؛ لأنها بالضبط التي تعمل علىٰ إقامة هذه العلاقة ، فكيف يمكن أن توصف الروح بهذه الخاصيية المزدوجة ؛ خاصية العداء والصداقة معاً ؟ وما علاقة الإنسان بهذه القوة المزدوجة ؟ وكيف ترتبط الروح بذاتها ؟ إنها ترتبط علىٰ أنها قلق؛ فالروح لا تستطيع أن تتخلص من نفسها ، كلا ، ولا هي قادرة علىٰ أن تدرك نفسها ، كما أن الإنسان لا يستطيع أن يغوص هابطاً في مرحلة دنيا كالحياة النباتية مثلاً ؛ لأنه متعين بالروح ، وهو لا يستطيع أن يهرب من القلق لأنه يحب هذا القلق ، وهو بالفعل لا يحبه ،لأنه يهرب منه ، ولقد وصلت البراءة [1] الآن إلىٰ ذروتها ؛ إنها جهل ؛ لكنها ليست وحشية حيوانية ؛ إنها جهل مكيف بكيف الروح الذي هو بالضبط القلق ".[2]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن القلق من وجهة نظر كيركجور ليس مجرد شعور أو انفعال بين مشاعر وانفعالات أخرىٰ ؛ وإنما هو خاصية أنطولوجية تعبر عن نسيج الوجود الإنساني نفسه(٣)؛فهو" يوجد في أعماق الإنسان حتىٰ ولو كان بدائياً يقترب من المرحلة الحيوانية أو ما يسميه كيركجور (حالة البراءة) ؛ لأنه لو كان في أية لحظة من لحظاته حيواناً فحسب لما أمكن أن يصبح إنساناً قط ، ومعنىٰ هذا أن الروح موجودة في أعماقه باستمرار، وإن

---

(١) البراءة بمفهوم كيركجور كما سيأتي مصطلح يطلقه علىٰ الذات الإنسانية قبل المعرفة والوقوع في الخطيئة .

(٢) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ، ج٢ / ٣٤٦.

(٣) انظر : المصدر السابق ج٢/ ٣٤٢.

كانت في حالة مباشرة أعني في حالة حلم".(١)

وتنص رؤية كيركجور"علىٰ أنه من بعد إثم آدم نشأ أمام الروحاني نقيضه وهو الشهواني ؛ فكلما ازدادت الشهوانية في الوجود ازداد القلق ، وهذا ما حدث علىٰ مر الزمان ، لأن الروحاني يرىٰ في الشهواني انعدامه...ولذا يقول كيركجور إن المرأة تفوق الرجل قلقـًا ؛ لأنها أعظم منه شهوانية ، وإن قلقها يزيد في الحالات التي تضعف فيها روحانيتها كحالة الوضع "[٢] ، ف" السبب الذي يجعل المرأة أكثر قلقـًا من الرجل هو أنها أكثر منه حسية ، ومع ذلك فهي مثل الرجل مكيفة بكيف الروح".[٣]

يقول كيركجور:" المرأة أكثر قلقـًا من الرجل وهذا هو السبب الذي جعل الحية تختارها كهدف لهجومها وتخدعها من خلال قلقها".(٤)

ثانياً : القلق في ارتباطه بسيكولوجيا الحرية :

إذا كان مفهوم القلق يرتبط بالعديد من الموضوعات والمصطلحات في فكر كيرجور؛ فإنه يرتبط بالحرية علىٰ نحو أكثر شيوعـًا ؛ ففي كثير من الفقرات يعرف القلق بالحرية ؛ يقول كيركجور: (القلق دوار الحرية الذي

---

[١] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٦. باختصار

[٢] Concept de l Angoisse p١١٨ نقلاً عن سورين كيركجورد ، د/ فوزية أسعد ص ١٠٥ ،وانظر فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ٦٦.

(٣) The Concept of Drlad. P ٤١ نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٨.

[٤] نقلاً عن :كيركجور ، د/ إمام عبد الفتاح ج١ / ٣٠٠ .

يحدث حينما تتطلع إلىٰ إمكاناتها)،(القلق حقيقة الحرية علىٰ أنها إمكانية لإمكانية)،(القلق هو إمكان الحرية)،(إمكان الحرية يعبر عن نفسه في حالة القلق)،(١) حتىٰ قرر سارتر أن " وصف كيركجور للقلق يجعل منه قلقاً إزاء الحرية ".(٢)

فما علاقة القلق بالحرية ؟

إن الحرية علىٰ حد تعبير كيركجور هي الممكنLe possible.[٣] أو بعبارة أوضح " حرية الانتقال من الإمكان إلىٰ الفعل"[٤] ،حرية الاختيار بين الإمكانات المختلفة في عملية صنع الذات ؛ فإذا كانت الذات من وجهة نظره عبارة عن مركب ــ كما ذكرنا ـ وكان وجودها الحقيقي هو وجودها كروح ، فإنه يرىٰ أيضاً أن الذات بهذا المعنىٰ ليست معطاة للإنسان ، بل شيء سيوجد ؛ إنها مهمة أو عمل وفي حالة تَكَوُّنٍ مستمر؛يعني أنها في عملية صيرورة.(٥) يقول كيركجور:"الإنسان مركب ، والمركب علاقة بين عاملين ، والإنسان

---

[١]كيركجور د/إمام عبد الفتاح٢ / ٣٤٣،وانظر:الزمان الوجودي١٧٠،كيركجرد فريتوف برانت٨٣ .

[٢] الوجودية ٢٤٥. وانظر :كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٣.

[٣] مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية،د/ سعد عبد العزيز جباتر ٦٩،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠م .

[٤] مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ٥٥.

[٥]انظر : المذاهب الوجودية ٣٩، كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية د/ علي عبد المعطي محمد ٣٣٥، ٣٣٦. جدل العقل والوجود ٣٥٩. في الفكر الحديث والمعاصر ١٣٨.

بهذا المعنىٰ ليس ذاتـًا بعد...".(١)

وينطبق علىٰ كل فرد أن نفسه قد أعطيت له باعتبارها (مُهِمة)وعلىٰ كل فرد أن يقوم بتحقيق وتطوير النفس المعطاه[٢]**، وهذا التحقيق للذات يتم بواسطة الحرية**؛ فالمعطىٰ للإنسان إنما هو حقل من الإمكانات غير المتعينة ، وبالحرية يختار الإنسان بعضـًا من هذه الإمكانات فتتعين وتتشكل ذاته من خلال اختياراته؛ فالحرية هي الجسر الدائم من اللاوجود إلىٰ الوجود ، من الإمكان إلىٰ الواقع الحي، فالوجود الإنساني والحرية واحد لا ينفصم (٣)؛ فحين يختار الموجود البشري ويفاضل بين الممكنات فإنه بذلك يعمل علىٰ إسقاط ذاته في هذا الممكن بدلاً من ذاك ، ويبدأ في تحديد ما سيكون عليه . يقول ريجيس جوليفيه علىٰ لسان كيركجور:" الوجود هو أن يختار الإنسان نفسه ؛ إن ما هو معطىٰ لي ليس ب " أنا " جاهزة قط ، هي ليست ماهية أخرجها من حيز الإمكان إلىٰ حيز الفعل ، وإنما مجرد إمكانية ، فأنا علىٰ نحو ما الصانع لماهيتي الخاصة ، وأنا إنما أكون موجوداً بالقدر الذي أحقق به هذه

---

(١) المرض حتىٰ الموت نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٦٥و انظر : كيركجرد فريتوف برنت ١٠٠

(٢) انظر :كيركجرد ، فريتوف برانت ١٢٢، كيركجارد د/ علي عبد المعطي ٣٣٥، ٣٣٦.

(٣) في الفلسفات غير الوجودية نجد أنه من الناحية الأنطولوجية حضور الحرية ليس هو الذي يمنح الممكنات الوجود،ولكن الحرية عند كيركجور خالقة حقـًا ؛ فهي تخلق من الناحية الأنطولوجية الشيء الذي تختاره انظر:الحرية في الفلسفة الوجودية٦٦، ٦٧،المذاهب الوجودية ٣٩، وانظر: الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليش د/ يمنىٰ طريف الخولي ٥٠ دار قباء للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٨م .

الماهية ؛ فاختيار المرء ذاته اختياراً حراً يمكن أن يستخدم بدوره في تعريف الوجود." [1]

ولكن"هذه الحرية ليس معناها الفوضىٰ، إنما قانونها هو الحب الإلهي"[2]؛فالاختيار من وجهة نظر كيركجور إنما هو اضطراري وحر؛ فـ(الأنا) لابد لها أن تختار ذاتها بصورة مطلقة حرة ، ولكن طبقًا لما فيها من اللاتناهي والخلود .[3]

وإننا لنتساءل هنا مرة أخرىٰ ؛ ما علاقة القلق بالحرية والدور الذي تلعبه في تكوين الذات في فلسفة كيركجور؟

ونجيب بأنه إذا كان الانتقال من الإمكان إلىٰ الفعل في المذاهب العقلية سهلاً وميسوراً ويتم بطريقة مباشرة وتلقائية بمجرد تحريك المعاني والمفهومات في الذهن ؛ فإنه في فكر كيركجور لابد للاختيار من حد أوسط، وهذا الحد الأوسط هو القلق[4] فـ" القلق هو الذي يسمح لنا في رأي كيركجور بفهم إمكان الانتقال من الإمكان إلىٰ الواقع ". [5] " القلق له علاقة بذلك الذي يمكن للإنسان أن يفعله ، فالإنسان وهو مواجه بالإمكانية ينغمس في القلق ويعيش (كراهية تشاركية ، وتشاركًا كارهًا ، فالإنسان ينجذب

---

[1] المذاهب الوجودية ٣٩.باختصار . وانظر :معنىٰ الوجودية ١٦ .

[2] الفلسفة المعاصرة د/ نازلي إسماعيل ١٤٤.كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٢م.

[3] المذاهب الوجودية ٣٩.

[4] انظر : كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٥٤ ، المذاهب الوجودية ٣٩. جدل العقل والوجود ٢٩٣.

[5] الزمان الوجودي ١٧٣.

ويتنافر في الوقت نفسه".[1]

ومن هنا يعرف القلق الكيركجوري بأنه : " ضرب من عدم الاتزان يسبق الفعل".[2] " حالة التعلق التي نعانيها أثناء الاختيار ".[3] يقول كيركجور في يومياته :" هناك فيما يبدو نذير يسبق ما هو علىٰ وشك الوقوع ، وهو نذير قد يؤدي إلىٰ الامتناع عن الفعل وقد يكون مصدر غواية علىٰ فعله".[4]

فالاختيار بين الإمكانات المختلفة في عملية صنع الذات يصيب الفرد بالدوار ، وهذا الدوار هو القلق .[5] ومن هنا " وصف كيركجور القلق بأنه (دوار) أو (دوخة) الحرية ؛ لأن الحرية تعني الإمكان ، والوقوف علىٰ حافة الإمكان يشبه الوقوف علىٰ شفا جرف ".[6]" قلق علىٰ الإمكانات عامة ، وقلق من الوجه الذي اختاره الإنسان منها ؛ فهذا قلق من ، وقلق علىٰ ، وهذا شبيه بالدوار الذي يصيب المرء حينما ينظر في هاوية ؛ فمن يوجه بصره إلىٰ هاوية يأخذه الدوار، لكن العلة ليست في الهاوية بقدر ما هي في البصر ؛ وإلا فلماذا ينظر في الهاوية؟ ولهذا فإن الشعور بالقلق شعور مشترك مزدوج متضاد ؛ فهو نفور عاطف وهو عطف نافر، ينجذب إليه الإنسان وهو ينفر منه ، وينفر منه

---

(1) كيركجرد ، فريتوف برنت ٨٢.

(2) الوجودية ٢٤١.

(3) أعلام الفكر الفلسفي المعاصر د/ فؤاد كامل ١٨٠، دار الجيل بيروت ط/١ / ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

(4) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٠ .

(5) انظر : في الفكر الحديث والمعاصر١٤٠ ، كيركجرد فريتوف برانت ٨٣ ، وانظر المذاهب الوجودية ٤٥.

(6) الوجودية ص ٢٤١.

حين ينجذب إليه".(١) ف" قلق الروح يشبه الدوار الجسماني من حيث هو خوف وانجذاب في وقت واحد...هو اشتهاء لما نخافه ، وخوف مما نشتهيه ".[٢]

هذا وإذا كان " الإمكان في تكوين الذات يرتبط بالمستقبل ؛ لأن المستقبل بالنسبة للذات هو مجال الإمكانات التي يمكن تحقيقها من خلال ممارسة القرارات، فإننا نستطيع أن نقول إن القلق هو نتيجة لوعي الذات بأنها في الحاضر تستطيع أن تواجه المستقبل الذي يمكن أن تتحرر نحوه بحرية، القلق هو مواجهة الذات لمستقبلها المليء بالإمكانات المختلفة التي يمكن أن تتحقق من خلال حرية الذات وهي تتخذ القرارت .[٣]

يقول الدكتور إمام عبد الفتاح : " يرتبط القلق ـ أي في فكر كيركجور ـ ارتباطًا وثيقًا بموضوعات ثلاثة هي المستقبل ، وإمكانات الذات ، وحرية الذات ، ولهذا فإننا كثيراً ما نجد كيركجور يقدم تعريفًا يتركز قليلاً أو كثيراً علىٰ واحد من هذه الموضوعات الثلاثة ؛ فهو مثلاً بالنسبة لارتباط القلق بالمستقبل يقول:(ما القلق ؟ إنه اليوم المقبل). أما الربط بين القلق والإمكان فكثيراً ما يشرحه كيركجور بطرق مختلفة يقول مثلاً : (إن القلق هو الإمكان المتوجس للوجود الممكن).(٤)

" فالقلق عند كيركجور هو قلق إزاء ما نخشىٰ أن يحدث في المستقبل ؛ إذ المستقبل وحده هو مجال الإمكان ، ونحن لا نقلق من حادث مضىٰ إلا من

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية ٢٢.

(٢) المذاهب الوجودية٤٥.

(٣) انظر: كيركجور ج٢/ ٣٤٣، ٣٤٤ .الزمان الوجودي ١٧٤.

(٤) كيركجور د/ لإمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٣.

حيث ما يترتب عليه في المستقبل ؛ فالقلق يتجه دائماً إلىٰ المستقبل ، غير أننا حين ينتابنا القلق نشعر بتباطؤ في سريان الزمن ، وإذا اشتد بنا القلق وبلغ ذروته بدا لنا أن حركة الزمن قد انتهت إلىٰ أقصىٰ حدود البطء . وكأن النفس قد وقفت عند لحظة حاسمة هي الآن الحاضر . فالقلق إذن يتجه إلىٰ المستقبل ولكنه يبطئ من سريان الزمن إلىٰ حدٍّ أن يقوم في الآن والحاضر ".[1]

وقد اعتمد كيركجور علىٰ هذا الارتباط بين القلق والمستقبل وعملية صنع الذات أو صيرورتها في محاولته السيكولوجية لبيان مفهوم القلق والمباينة بينه وبين مشاعر الخوف، " يقول كيركجور :(إننا نادراً ما نجد علم النفس يدرس مفهوم القلق، ولابد لي من ثَمَّ أن أوجه الانتباه إلىٰ أنه يختلف عن الخوف وعن المفاهيم المشابهة التي تشير إلىٰ شيء معين أو محدد ".[2] الخوف يتسم بارتباطه بشيء جزئي ؛ شيء معين ومحدد ؛ الخوف يعني أنك تعرف الأشياء التي تخاف منها ؛ فأنت تخاف الظلام والسكون أو الأماكن المرتفعة أو من حيوانات بعينها أو أمراض محددة ..إلخ ولهذا كان من الممكن التغلب عليه بالقضاء علىٰ موضوعه ،أما القلق فأمر مختلف أتم الاختلاف ؛ إنه الخوف من الوجود بأسره ، هو الخوف العام من لا شيء؛ هو مواجهة الوجود بغير تحديد.[3] ف" القلق ليس مرتبطاً بشيء معين ؛ إذ هو لا تعين صرف ؛ فما يقلقنا في القلق ليس أشياء حاضرة في الوجود العيني ، بل

---

(1) بين برجسون وسارتر أزمة الحرية٦٢ ،وانظر: فلسفة جان بول سارتر ٤١، ٤٢، المذاهب الوجودية ص٤٥.

(2) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٢.

(3) بين برجسون وسارتر ٦٢. جدل العقل والوجود ٣٤٦. كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٥٤. ج٢/ ٣٤٢.

إمكانية التحقيق نفسها في هذا الوجود، وهي إمكانية خالية من كل تعيين غير مجرد كونها إمكانية، ولهذا فإنها إمكانية أو حرية كإمكانية مقدمة للإمكانية علىٰ حد تعبير كيركجور، ولما كان القلق غير مرتبط بأي موجود عيني فأي شيء هو موضوعه إذن؟موضوعه العدم".(١)

كتب كيركجورد في هذا الشأن :" في حالات الخوف نكون دائمًا في حضرة هذا الكيان المحدد أو ذاك الذي يهددنا علىٰ هذا النحو أو ذاك ، وبمجرد تمكننا من تسمية التهديد فإننا نسترد قدراً من رباطة الجأش ، ونستطيع اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهته ، أما في حالة القلق فلا شيء يستطاع تحديده كعلة له ". (٢)

ثالثاً : القلق في علاقته بالخطيئة :

إذا كان كيركجور قد نظر إلىٰ الوجود الإنساني باعتباره علاقة قائمة بين المتناهي واللامتناهي، وجعل الوجود الحقيقي للذات هو وجودها أمام الله حيث يتحد المتناهي واللامتناهي؛ فإن " الإنسان بإرادته الحرة ـ من وجهة نظره ـ قادر علىٰ تحطيم علاقة التبعية بينه وبين الله ، وإنكار اعتماده علىٰ خالقه ، لهذا كانت الخطيئة باستمرار خطيئة أمام الله ، ومن يرتكب خطيئة فإنه يؤكد نفسه ضد الله ، وهو يعلن استقلاله بعصيانه وتحديه للوصايا الإلهية، وفي كل مرة يرتكب فيها خطيئة فإنه يجدد فعل التمرد"(٣) فالخطيئة تحفر هوة مستمرة بين الإنسان وبين الله ، وتقيم بينهما توتراً لا حد له ، فهي شرخ أو

---

(١) معنىٰ الوجودية ٢٣، ٢٤ باختصار.

(٢) الحياة الكريمة:١٢٥.

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٧٠.

اضطراب في العلاقة بين الإنسان والله ؛ لأنها تعني عدم خضوع الإنسان للنظام الإلهي أو(عصيان الناموس). (١)

لقد بدأت الخطيئة بأن حرم الله علىٰ آدم الأكل من شجرة في وسط الجنة ؛ مجرد تحريم بسيط للغاية أو مطلب سهل جداً (الامتناع عن لون من الخيرات الموجودة أمامه) ؛ لكن مغزىٰ هذا التحريم هائل جداً لأنه امتحان ؛ فالطاعة تعني قبول الإنسان للتبعية واعترافه باعتماده علىٰ الله ، في حين أن العصيان يعني إنكار هذا الاعتماد ، وإعلان استقلال الإنسان عن الخالق ، من أجل ذلك فكأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلىٰ العالم ."(٢)

ولكن ما العلاقة بين القلق والخطيئة ؟

إن تحليلات كيركجور المستفيضة لشعور القلق و طبيعتة وأنواعه ومظاهره وأصوله الأولىٰ والتي حواها كتابه (مفهوم القلق) قدمها في سياق مناقشته لأصل الخطيئة (خطيئة آدم) ، وفي إطار القصة التي رواها سفر التكوين عن سقوط الإنسان ، حتىٰ أنه ـ كما ذكرنا سابقـاً ـ وضع عنوانـاً فرعيـاً لكتابه (مفهوم القلق) هو (دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية) ؛ بل إن جميع عناوين فصول الكتاب الداخلية تعبر عن ربط الخطيئة بالقلق.(٣)

---

(١) انظر:جدل الإنسان ٥٩،جدل العقل والوجود ٣٦٣، كيركجور د/ مام عبد الفتاح ج٢/ ٣٧٠.

(٢) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٣)كتاب(مفهوم القلق) يشتمل علىٰ خمسة فصول عنونت كالتالي : الفصل الأول : القلق بوصفه شرطـًا سابقـًا للخطيئة الأصلية.الفصل الثاني : القلق بوصفه الخطيئة الأصلية في تجربة متقدمة.الفصل الثالث: القلق بوصفه نتيجة لتلك الخطيئة الأصلية

فما العلاقة بين القلق والخطيئة إذن ؟

ونجيب بأن القلق يرتبط بالخطيئة في فكر كيركجور من عدة أوجه أهمها :

الوجه الأول : أن القلق هو الذي يجعل الخطيئة ممكنة [1] فالقلق يعتبر شرطاً سابقاً للخطيئة ؛ " أليس مرد الخطيئة إلىٰ ذلك الدوار الذي يعيش المرء فيه لحظة الاختيار ؟"(٢)

فالإنسان من وجهة نظر كيركجور لا يمكن أن يرتكب الخطيئة التي تفصل بينه وبين والله ، وتحول دون تحقيق وجوده الأصيل إلا في دوار الحرية (القلق) أو في غشية من حريته ؛ ف" في صميم هذا القلق كثيراً ما تخشىٰ النفس أن تسقط ؛ ولكنها مع ذلك مدفوعة برغبة قوية نحو ما تخشاه ؛ كما هو الحال في خشية الحب التي لا تكاد تنفصل عن الرغبة الشديدة في الحب ، وهنا تجد النفس ذاتها بإزاء الخطيئة التي هي إغراء وغواية " .[3]

ف" الإنسان في حريته يدرك عمق الهوة الممتدة أمامه فيعتريه لون من الدوار... فتغرق الحرية في الإثم من جراء الهلع ، كما يتردىٰ الإنسان في الهوة من جراء ما ينتابه من دوار؛ فهو يخطئ وهو في حال من الغشية ؛ فإذا انتبه إلىٰ ذاته وجد أنه قد اقترف الإثم في غيبوبة حريته أثناء غشيته ، وهكذا يبدو الإثم

=

.الفصل الرابع : قلق الخطيئة أو القلق الناتج عن خطيئة الفرد .الفصل الخامس: القلق بوصفه وسيلة للخلاص عن طريق الإيمان. انظر: كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٦١وما يليها.

(١) الوجودية٢٤٠.

(٢) جدل الإنسان ٩٥. جدل العقل والوجود ٣٦٣.

(٣) الفلسفة الوجودية ص ٤١ .

نتيجة ضعف ؛ تلك حال الإنسان قبل الإثم ، وهذا الحال هو الدافع إلىٰ الإثم ".[1]

يقول كيركجور: " كثيراً ما درست طبيعة الخطيئة الأولىٰ ، لكن المقولة الأساسية منها قد أغفلت ، وهذه المقولة هي القلق ؛ فهو ما يحددها بالفعل... القلق يجعل المرء بلا حول منه ولا قوة ، وتحدث الخطيئة الأولىٰ باستمرار في لحظة ضعف ، ومن ثم فهي ينقصها أية مسئولية ظاهرة ".(٢) كما يقول :" القلق ضعف نسائي فيه يغمىٰ علىٰ الحرية ، فإذا تحدثنا بطريقة سيكولوجية قلنا إن السقوط في الإثم يحدث دائمـًا في حالة إغماء".[3]

لقد كان الهدف الرئيس لكتاب كيركجور (مفهوم القلق) أن يفسر الطريقة التي تنشأ بها الخطيئة ؛ وذلك عن طريق تحليل الحالة الذهنية للفرد التي تسبق وقوعه في الخطيئة والتي هي (حالة القلق).[4]

فإذا تسألنا: "ما التفسير السيكولوجي لآدم الذي انتهك تحريم الله الأكل من شجرة المعرفة، ومن ثم عمل الخطيئة للعالم ؟ إن التفسير السيكولوجي اللاهوتي المعتاد يفترض أن التحريم أغرىٰ آدم وبعث فيه رغبة في انتهاكه ، غير أن كيركجور يتصور من جهة أخرىٰ أن التحريم أثار في آدم القلق من انتهاكه ، وأنه انتهكه في دوار القلق" .(٥)

---

(١) Concept de l Angoisse p ٨٠ نقلاً عن سورين كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ميخائيل ص ١٠٤.

(٢) نقلاً عن د إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٩٩.

(٣) كيركجرد ، فريتوف برانت ص ٨٣.

(٤) انظر كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٥) كيركجرد فريتوف برنت ٨٤. وانظر :المذاهب الوجودية٤٥ باختصار .

إن " عبارة التحريم التي وردت في الكتاب المقدس:(من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها) أزعجت آدم، أو قل إنها أحدثت لونـًا من القلق "(١) لأن " التحريم أيقظ الرغبة في نفس آدم ، والرغبة تعني ممارسة الحرية "(٢)؛ لقد شعر آدم بقدرته علىٰ أن يفعل شيئـًا ، دون أن تكون لديه أدنىٰ فكرة عما يستطيع أن يفعله ...فهو لديه مجرد إمكان بقدرته علىٰ فعل شيء ما دون أن يعرفه "(٣) ، " ثم جاءت بعد عبارة التحريم عبارة أخرىٰ تحكم عليه بالموت إن هو عصىٰ هذا الأمر: (لأنك يوم تأكل منها موتـًا تموت) ، وبالطبع لم يكن لدىٰ آدم أدنىٰ فكرة عن معنىٰ هذه العبارة ؛ فهو لا يعرف شيئـًا عن معنىٰ الموت ، لكن ليس ثمة ما يمنعنا من الافتراض أنه شعر بمدىٰ رعبها ؛ فالحيوانات نفسها قادرة علىٰ الشعور بالنبرات المختلفة في صوت المتكلم دون أن تفهم معنىٰ كلماته ، وإذا كان التحريم أيقظ الرغبة ؛ فلا جدال أن كلمة العقاب قد أيقظت الرعب في نفس آدم ، والرعب في هذه الحالة يتحول إلىٰ قلق محض ؛ لأن آدم لم يفهم ما قيل له . وهنا نجد لدينا مرة أخرىٰ ازدواج الدلالة في القلق والتباسه ؛ فبداية العبارة كانت توقظ الرغبة والقدرة علىٰ الفعل ؛ لكن نهايتها في التحذير من العقاب كانت تعني المنع وإعاقة الفعل...وهنا نصل إلىٰ فهم أكثر عمقـًا للقلق ؛ فإذا كان التحريم قد أيقظ الرغبة وشعر الإنسان بإمكان الحرية ؛ فإن ذلك لا يعني القدرة علىٰ الاختيار التعسفي ؛ ذلك لأن الإمكان يعني فقط أنني قادر علىٰ أن

---

(١) تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ٥٧ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٥٤ .

أستطيع أن أفعل كذا ؛ لكنها قدرة معاقة أو استطاعة مقيدة نتيجة للعقاب ".(١)

إن " القلق ليس مقولة الضرورة ، كما أنه ليس مقولة الحرية ؛ بل هو حرية معلقة حيث تكون الحرية غير حرة في ذاتها ؛ بل معلقة لا بواسطة الضرورة ؛ بل بذاتها، ولو أن الخطيئة كانت قد دخلت العالم بواسطة الضرورة ـ وهذا قول متناقض بالطبع ـ لما كان هناك قلق ، ولو أنها دخلت العالم بواسطة فعل الإرادة الحرة التعسفية فلن يكون في هذه الحالة أيضاً قلق ؛ لكن المشكلة هي التوتر القائم بين الإمكان الذي أظهرته كلمة التحريم ، والضرورة التي عبرت عنها كلمة العقاب . وبسبب هذا التوتر العنيف قارن كيركجور بين القلق والدوار ؛ يقول : ...القلق هو دوار الحرية الذي ينبثق عندما تريد الروح أن تضع المركب والحرية فتتطلع إلىٰ إمكاناتها وتتشبث بالتناهي تدعم به نفسها وتستسلم الحرية لهذا الدوار، وبعبارة أخرىٰ ليس القلق سوىٰ حرية ترىٰ نفسها معاقة ، يدرك فيها الإنسان عمق الهوة المتسعة أمامه، فيعتريه لون من الدوار ؛ تماماً كما يصاب بالإغماء إذا نظر إلىٰ هوة سحيقة فيسقط فيها ؛ لأنه يفقد توازنه ، كذلك يقع في الإثم وهو في شبه غيبوبة ـ في دوار الحرية ـ فإذا انتبه إلىٰ نفسه وجد أنه سقط في الخطيئة وهو في تلك الحال ، وهذا هو الدافع إلىٰ الخطيئة .(٢)

هكذا نلاحظ أن " القلق يسبق الخطيئة ويتعلق بالإمكان والحرية "(٣) ولذا يعرف البعض القلق الكيركجوري بأنه " شعور الفرد في فعله الحر

---

(١)المصدر السابق ج٢/ ٣٥٣ وانظر : تطور الجدل بعد هيجل م/ ٣ الإنسان ص٥٨.

(٢) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) المذاهب الوجودية ٤٤.

بالخطيئة الناشئة بالضرورة من الاختيار". (١)

هذا " ويركز كيركجور علىٰ تحليل خطيئة آدم ، لا من حيث الأصل الديني والتاريخي للخطيئة فحسب ، بل من حيث إنها جلبت الخطيئة إلىٰ العالم ، ومن هنا كانت مزدوجة ؛ فقد وقع آدم في الخطيئة أولاً ، ثم أعطاها للجنس البشري ثانيـًا، ونفذت إلىٰ الكون كله ثالثـًا ، وهذا هو المغزىٰ العميق لخطيئة آدم ؛ فبواسطتها خضعت الطبيعة والجنس البشري معـًا للخطيئة"[٢]؛ فخطيئة آدم موروثة كخطيئة أولية من قبل أبناء سلالته الذين خلال التقدم الدائم من جيل إلىٰ جيل يرتكبون آثامـًا جديدة في القلق ، وهذه الآثام تنحدر أكثر حتىٰ أن كتلة الخطيئة الأصلية تنمو وتنمو ، ومعها ينمو القلق حتىٰ عصرنا [٣].

و"يزداد القلق في الوجود وتتعدد أنواعه بازدياده ...إذ أصبح القلق ممكنـًا بعد آدم وبإمكانه نشأ قلق الإثم الذي يفضي إلىٰ إثم جديد، وكأن العدم الذي أثار قلق آدم قد غدا شيئـًا ، وإن لم يكن قد تعين بعد ، كما أن الإنسان بعد آدم وإثمه قد فطن إلىٰ ضعفه الذي يتبدىٰ تهديداً للروح ومصدراً للقلق".[٤]

و" يفرق كيركجور بين نوعين من القلق هما القلق الموضوعي و القلق الذاتي ، وهي تفرقة تعتمد علىٰ القول بأن هناك ارتباطـًا وثيقـًا بين الفرد والجنس البشري ، أما القلق الموضوعي فهو يشير إلىٰ تأثير الجنس البشري

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية ص٩ ،وانظر : معنىٰ الوجودية ٢٨.

(٢) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٠.

(٣) انظر سورين كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ١٠٤ .كيركجور د/ إمام ج٢/ ٣٦٥.

(٤) Concept de l Angoiss نقلاً عن سورين كيركجورد فوزية أسعد ميخائيل ص ١٠٤.

علىٰ الفرد ، في حين يشير القلق الذاتي إلىٰ تأثر الفرد واستجابته لهذا التأثير...وإذا كان القلق الذاتي يشير إلىٰ الحالة الذهنية التي توجد عند الفرد قبل وقوعه في الخطيئة أو ما يسميه كيركجور بحالة البراءة ، فإن وقوع الأفراد طوال التاريخ في كثير من الخطايا يزيد من كمية القلق الموجودة في العالم ....الاختلاف بينهما اختلاف كمي فقط بسبب الزيادة الكمية في الأجيال التي أعقبت آدم "(١) وهكذا يزداد القلق في الوجود وتتعدد أنواعه كلما ازداد عدد الأفراد وتعاقبت الأجيال، لأن الفرد يحمل علىٰ كاهله خطايا الجنس البشري بأسره ، والتاريخ البشري ليس سوىٰ مجموعة أعمال الأفراد ، وحين يظهر الفرد في لحظة تاريخية معينة يجد نفسه مقيداً بتاريخ الجنس البشري كله من ناحية، كما أنه يسهم هو نفسه في هذا التاريخ من ناحية أخرىٰ ...وعلىٰ هذا النحو يرتبط القلق الذاتي بالقلق الموضوعي ارتباطًا وثيقًا بصفة مستمرة ؛ بحيث يؤثر كل منهما في الآخر وينميه .(٢)

هذا وقد لاحظ الباحثون أن كيركجور قد نظر إلىٰ خطيئة ذرية آدم باعتبارها يقظة الجنس والجانب الجسدي.(٣) فالخطيئة ـ أي من وجهة نظر كيركجور ـ في أسمىٰ صورها هي الجنس ؛ لأن الجنس هو حلقة الاتصال مع الطبيعة (٤) " وكما أن القلق(انتهاك التحريم) هو الأرضية النفسية للخطيئة ، فإن فكرة ما هو جنسي تترافق مع كل نسل آدم بالقلق " .(٥) " والشاب الذي يجعله القلق

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٠.وانظر المرجع نفسه ٣٥٥

(٢)كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) جدل العقل والوجود ٣٦٤.

(٤) جدل الإنسان ٦٠ ، وانظر : جدل العقل والوجود ٣٠٥ ،٣٦٤.

(٥) كيركجرد فريتوف برنت ص:٨٥، ٨٦.

يتراجع عن فعل جنسي فقد اختار إمكانية الحرية وحقق نفسه بوصفه موجوداً روحيًا".(١)

تقول (شنتال آن) في كتابها عن الحب في فكر سروين: " إن هذا القلق الذي هو الحرية ، والذي هو أيضـًا قابلية الوقوع في الخطأ والزلل ، يبرز مواضيع الجنس وقد تشابكت وترابطت...ولهذا فإن التصور للحياة الجنسية يجب أن يأخذ في الاعتبار بشكل محدد الخطيئة ". (٢)

الوجه الثاني من أوجه الارتباط بين القلق والخطيئة هو أن القلق نتيجه من نتائج الخطيئة : فإذا كان القلق يسبق الوقوع في الخطيئة ؛ فهو في فكر كيركجور نتيجة للخطيئة أيضـًا؛ ذلك لأن الإنسان الساقط يعيش دائمـًا في أعماق القلق (٣) ؛ يقول كيركجور:" دخلت الخطيئة إلىٰ العالم بواسطة القلق ، لكنها تجلب القلق بدورها".(٤)

وفي مفهوم القلق جاءت هذه الاستعارة البليغة:" يتبع الندم الخطيئة لا خطوة بخطوة؛ ولكن دائمـًا متأخراً لمدة لحظة، يتركز القلق في تبكيتات الضمير لدىٰ الشخص الذي فقد عقله ، ويتسع نطاق الخطيئة ويحاصرها العذاب وتجر وراءها الفرد ؛ كما يجر الجلاد المرأة من الخلف ؛ من شعرها وهي تصرخ بائسة ".(٥)

---

(١) تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ٦٠،وانظر: جدل العقل والوجود ٣٦٤. كيركجرد فريتوف برنت ٨٦.

(٢) الحب في فكر سروين ص:٥٣، وانظر جدل العقل والوجود ٣٦٤.

(٣)انظر: الوجودية :٢٤١.

(٤) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٨٠ .

(٥) الحب في فكر سروين ص: ٦٥.

ف" الإنسان عندما يأثم لا يتخلص من قلقه ؛ بل علىٰ العكس يضاعف هذا القلق؛ لأن الخطيئة لا تتوقف ؛ بل هي تتكرر باستمرار ، ويزداد القلق مع تكرارها .(١)

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٤، ٣٥٥.

المبحث الثاني :

أنواع القلق وبواعثه في فكر كيركجور

ذكرنا أن الذات الإنسانية من وجهة نظر كيركجور علاقة بين مجموعة من الأضداد؛ وأن وجودها الحقيقي إنما هو وجودها أمام الله حيث يتحد المتناهي واللامتناهي(١)؛" إننا نحقق الوجود الأصيل عند كيركجور في اللحظة التي نوجد فيها أمام الله ، وهي نفسها لحظة المعرفة الذاتية ، ونحققه في الفعل الذي نريد به المسيح ، والذي هو أيضـاً الفعل الذي نريد به أنفسنا "(٢) ؛ فـ "لا تصبح النفس حقيقة إلا في المرحلة الدينية ، ولا يوجد إنسان موجود بمعنىٰ الكلمة اللهم إلا الإنسان الديني المركب من النقيضين الأبدي والزماني ".(٣)

وقد رأىٰ كيركجور أن الذات لا تكون واعية بحقيقة نفسها تلك ، ولا بالعلاقة التي تربطها بالمتناهي ، وأنها في عملية وعيها بنفسها وتحقيق خلاصها بحضورها أمام الله تمر بثلاث مراحل ؛ المرحلة الجمالية ، والمرحلة الأخلاقية ، والمرحلة الدينية. وقد قرر كيركجور أن الانتقال من مرحلة إلىٰ أخرىٰ من هذه المراحل لتحقيق الوجود الأصيل للذات لا يتم تدريجياً ؛ وإنما بتغير مفاجئ في أحوال الذات الروحية ، وهو ما أطلق عليه كيركجور اسم (الوثبة) ؛ فالأفكار العظيمة ـ من وجهة نظره ـ لا تظهر إلا فجأة ، وهو

---

(١) انظر :الوجودية ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق : ٣١٤، ٣١٥، والمصدر نفسه ٢٤٨.

(٣) جدل العقل والوجود ٣٦٤.

يشبهها بقفزة الوحش ووثبة النسر وانفجار الإعصار.(١) وهذه الوثبة هي تجربة الذات مع القلق ؛ فالقلق يظهر في لحظات الاختيار كثورة عارمة تتخذ صورة الوثبة والانفعال وليس الإدراك النظري ، وفيها تتحول الآنية إلىٰ موجود حاكم نفسه يتحمل عبء وجوده .

إن " العمل الحر عند كيركجور ليس هو الاختيار العقلي الذي تتحدث عنه الفلسفة التقليدية ؛ وإنما هو بالحري يشبه أن يكون وثوبـًا أعمىٰ أو قفزاً في المجهول.

يقول كيركجور: (الحرية هي العمل الذي هو اختيار اللايقينية الموضوعية مدفوعـًا بالهوىٰ ـ يقصد العاطفة والانفعال ـ في ملاحقة اللامتناهي".(٢)

العاطفة عمومـًا والقلق بصفة خاصة هو الذي يصاحب الذات في طريقها للوعي بنفسها وتحقيق خلاصها فـ" القلق هو الطريق الذي يجد المرء نفسه بواسطته".(٣)

يقول ريجيس جوليفيه متحدثـًا بلسان كيركجور :" القلق يضع الإنسان وجهـًا لوجه أمام نفسه باعتباره لم يوجد بعد ؛ وإنما سيوجد بواسطة الحرية ، وهو الروح بمعنىٰ ما ، ما دام هو الحرية ، وهو أيضـًا يعد ويعلن نوعـًا من قطع العلائق مادام يعني في الوقت نفسه حالاً غير مستقرة ووثبة يقوم الإنسان بها. ولما كان القلق قائمـًا في نقطة الالتقاء بين الإمكان والواقع فإنه يكشف الموجود لذاته ، ويعرض عليه (أنًّا) ليحققها بيد أنه من هذا الوجه ـ كما يقول

---

(١) تطور الجدل بعد هيجل م ٣/ جدل الإنسان ص ٣٦ .

(٢) الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ٢٧،وانظر:هذه هي الوجودية١٤٥.أعلام الفكر الفلسفي المعاصر١٨٠.

(٣) الوجودية ص: ٢٤٨.

كيركجور أشد المقولات وطأة ؛إذ به(يقيم الرعب والضياع والدمار إلىٰ جوار كل إنسان ، وهذا مظهر آخر من مظاهر الاختيار لا يتخذ هذه الصورة الرهيبة إلا لأنه يشمل كل شيء : الخلاص والدمار الحياة والموت " .[1]

وفي رحلة الوعي بالذات وتحقيق الخلاص الأبدي - يرافق القلق الذات في جميع المراحل بأنواع يمكننا عرضها علىٰ النحو التالي :

أولاً : قلق البراءة :

قلق (البراءة) يمكن النظر إليه باعتباره أول مستوىٰ أو نوعاً من أنواع القلق في فكر كيركجور؛ حيث يظهر في حالة الإنسان الأولىٰ ،أو كما سماها كيركجور(حالة البراءة الأخلاقية) أو (حالة الجهل)؛ حالة الإنسان قبل السقوط في الخطيئة والأكل من شجرة المعرفة . ف" هناك في حلم البراءة هذه شيء يشبه عدم الاتزان أو الاضطراب ، أو هاجس يثير الإضطراب في صفاء السعادة"(٢)؛ وهذا الهاجس هو القلق .

ورغم غموض التصور الذي يعرضه كيركجور هنا فيمكننا توضيحه كالتالي :
كيركجور يتصور أن هناك حالة سابقة علىٰ الخطيئة الأولىٰ عند آدم ، كان فيها الإنسان متمتعاً بالبراءة المطلقة ، أو بمعنىٰ أدق كان في حالة جهل ؛ وكل إنسان آخر علىٰ غرار آدم لابد أن يتمتع بهذه الحالة السابقة علىٰ الخطيئة(٣)؛حالة البراءة والجهل، حيث الروح لا زالت لم تستيقظ بعد".(١)

---

(١) المذاهب الوجودية ص:٤٥.

(٢) الوجودية ص: ١٣٧.

(٣) تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ٥٦ . ينبغي علينا ألا نفهم أن قلق البراءة وجد عند آدم فحسب ؛ بينما تخلص منه أحفاده ، بل هو موجود عند كل إنسان .انظر جدل الإنسان ٥٧ ، جدل العقل والوجود٣٤٧.

يقول كيركجور: " الإنسان في براءته لا يتعين بالروح ؛ لكنه يتعين كنفس تقيدها وحدة مباشرة مع حالة الإنسان الطبيعية ؛ والروح في الإنسان في حالة حلم"[٢]؛ فـ" الروح لم توضع بعد كروح ؛ يعني أن المركب البشري لم يظهر بوضوح ، فالروح هنا في حالة نعاس، فما يوجد بالضبط هو مجرد إمكان ، وهذا الإمكان هو القلق وهو في الوقت نفسه القلق الناجم عن غياب الروح "[٣].

فـ(قلق البراءة) هو قلق الذي لا يعي امتلاك الذات ، ولذا يوجد " لدىٰ الإنسان البريء الروحي الجاهل بكل شيء ، كما نجده عند الطفل في بحثه عن المغامرات والأسرار والخوارق ، وعند الشعوب التي لا تزال تحتفظ بهذه الطفولة ؛ فهو مقياس الروح الذي لم يحقق ذاته ... القلق جهل دعامته الروح

=

(١) لا شك أن وجهة نظر كيركجور تتفق تماماً مع ما جاء في الكتاب المقدس ؛ فلو راجعنا أول صفحات التوراة لوجدنا أن حال الإنسان الأول قبل الخطيئة كان جهلاً بالخير والشر.انظر:جدل الإنسان ٥٧،كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ١٠٣،وننبه إلىٰ أن إنسان هذه المرحلة قد يكون طفلا ؛ فالطفل جمالي ، وهو دون إرادة منه يتبع رغبته، كما أن إنسان هذه المرحلة قد يكون شابا لا يمتلك ذاتا واعية أو حرية اتخاذ القرار وينساق إلىٰ إمكانياته الطبيعية المحدودة وغير الواعية.وقد يكون الإنسان كبيراً في السن ،لكنه يبقىٰ في المرحلة الحسية المباشرة عندما لا يعمل علىٰ استرداد ذاته من جديد . انظر كيركجرد فريتوف برانت ص٤٠،كيركجور دإمام ج٢/ ١٥٨ .

(٢) تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ص ٥٧ .

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٥٦.

".(١)

وهنا قد يتساءل البعض: إذا كانت الذات في حالة براءة (جهل) فما هو الباعث علىٰ القلق هنا؟

يرىٰ كيركجور أن هناك عدة بواعث تثير قلق البراءة :

أولها : البراءة نفسها (الجهل) : فبمقدار ما يكون المرء غير واع بالأزلي فإنه لا يعي ذاته الفعلية ؛ وبالتالي يكون في حالة قلق " ف" الجهل مصدر القلق ؛ لأنه مرادف للفراغ ، وهو يحجب عنا كل موضوع للصراع أو البحث ، ويحول دون تحقيقنا للروح الكامن فينا في صورة ما ، ومن هنا يتولانا القلق ؛ فللروح إمكانات واسعة ، ولكن هذه الإمكانات شبيهة بالعدم لأننا نجهلها ؛ فالإنسان البرئ لا يمتلئ شعوره إلا إذا فقد جهله ؛ ومن ثمة ينتهبه القلق" (٢).

يقول كيركجور :" في هذه الحالة ـ يقصد حالة البراءة والجهل ـ هناك سلام وراحة ، لكن هناك في نفس الوقت شيئاً مختلفاً عن السلام والراحة ، وهو ليس كفاحاً أو نزاعاً ؛ لأنه ليس ثمة شيء ينازع أو يكافح من أجله ، فما هو هذا الشيء إذن ...؟ هو العدم ، لكن ما النتيجة التي يمكن أن يحدثها العدم ؟ إنه يحدث القلق وذلك هو السر العميق للبراءة ".(٣)

ثانيها :الخوف من فقدان البراءة : الإنسان في حالة البراءة ـ بحسب رؤية كيركجور ـ لديه إمكانية أو قابلية الوقوع في الخطأ والزلل؛ أي أن هناك إمكانية

---

(١) Concept de l Angoisse نقلاً عن سورين كيركجورد ، د/ فوزية أسعد ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ميخائيل ص ١٠٣،

(٣) تطور الجدل بعد هيجل ج٣/ جدل الإنسان ص٥٧.

تجاه الشر كامنة في داخله كإمكانية إغراء وغواية (١) ، ومن ثم ف" الإنسان الطاهر نقي القلب والذي يتسم بالبراءة كثيراً ما يتعرض للقلق خوفاً من تمزق طهارته أو فقدان براءته ولو عن طريق الأحلام".(٢) ف" حين يعلم الإنسان شيئاً كما علم آدم أن لمس شجرة المعرفة محظور عليه ، ينتقل الشعور بالجهل والعدم إلىٰ مجال آخر، فهو حر في إطاعة هذا الأمر أو عصيانه ؛ فهو يجابه إمكان القدرة ، ولكنه يجهل ما يقدر عليه ، فهو مع قدرته لا يقابل إلا الجهل والعدم، فيتولاه القلق ثانية وهو لا يزال بريئاً ".[٣]

ومرحلة (البراءة) في حياة كل إنسان هي ما أطلق عليها كيركجور اسم (المرحلة الحسية) أو (الجمالية)[٤] **وهي مرحلة تسيطر عليها اللذة** ، حيث ينحصر اهتمام الإنسان فيها علىٰ كل ما يحقق له اللذة الحسية والمتع الوقتية ؛ فقد لاحظ الباحثون أن الرغبة (اللذة) كانت عنصراً مشتركاً بين جميع

---

(١) جدل العقل والوجود .٣٤٥.

(٢) انظر : في الفكر الحديث والمعاصر ١٣٧ .

(٣) Concept de l Angoisse نقلاً عن سورين كيركجورد فوزية أسعد ص ١٠٣، ١٠٤.

(٤) "النمط الحسي في الوجود له تعبيران أوليان : مذهب اللذة الرومنتيكي ،والنزعة العقلية المجردة ، وتنعت أوبرا(دون جوفاني)لموتسارت بأنها المثل الكلاسيكي للنظرة الحسية أو اللذائذية إلىٰ الحياة؛ بينما(فاوست)يعبر عن الشخصية الحية للنزعة العقلية المجردة؛ لأن الوجود الباطن والإلتزام هما في نظر كل من رجل الحواس وصاحب النزعة العقلية أمران عرضيان ، ولا واحد منهما قادر علىٰ تحمل مسؤوليته والالتزام بالعمل ؛إذ ينقصهما الوجدان الأخلاقي " دراسات في الفلسفة الوجودية ص٥٦.

الشخصيات التي جسدت المرحلة الحسية في قصص كيركجور ورواياته ، وقد تجلت هذه الرغبة في شكل رغبة عشقية (جنسية) علىٰ وجه الخصوص .[1]

الإنسان في هذه المرحلة الجمالية من وجهة نظر كيركجور" لا يتخذ قراراً ولا يعترف بواجب ؛ بل ينظر إلىٰ الواجب علىٰ أنه خاضع للذة ؛ ما دامت حياته كلها تقوم علىٰ الشهوات واللذات ؛ فالمدرج الحسي يفتقر إلىٰ الاختيار بمعناه الدقيق ؛ وذلك لأن الإنسان الذي يتعلق بالجمال الحسي ، ويخضع لنزواته الحسية ، ينساق مع التيار علىٰ غير هدىٰ ، تتحكم فيه شهواته وملذاته ، وبالتالي لا يكون موجوداً مختاراً بمعنىٰ الكلمة ، وبافتقاره لهذا الاختيار فإنه يفقد ذاته ؛ إذ الاختيار هو السبيل الوحيد الذي يحصل به الإنسان علىٰ ذاتيته "[2] ومن ثم ففي هذه المرحلة كما أشار كيركجور في (حاشية علىٰ الشذرات) الإنسان ليس إلا إمكانية وجودية ؛ أي أنه لا يوجد بالمعنىٰ الحقيقي للوجود "(٣) لأنه لا يعرف أنه مركب يتألف من عوامل مختلفة تحتاج إلىٰ نسب صحيحة لكي تكون ذاتـاً أصيلة ، [4] بل الطبيعة الحسية طاغية ومسيطرة عليه ؛ ومن ثم فهناك اهتمام بجانب واحد من عوامل مكونات الذات الأنطولوجية وهو جانب المتناهي ، مع إهمال الجانب اللامتناهي والروحي فيها.(٥)

---

[1] كيركيغارد ، بيار مسنار ، ترجمة عادل العوا ص ٢٥منشورات عويدات بيروت باريس ط/ ١ ١٩٨٣ م..

[2] جدل العقل والوجود٣٠٥، ٣٠٦.

[3] فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ٦٤ .

[4] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣١٠ .

[5] يشبه كيركجور الإنسان في حالة غياب الروح بشخص أراد أن يبني لنفسه مسكنـاً من عدة طوابق ، لكنه يتركها كلها ليعيش في القبو(أسفل المنزل)،تلك هي الحالة المزرية

وإذا كانت المهمة الأساسية للذات في وجودها العياني هي المحافظة علىٰ التوازن بين العوامل الأنطلوجية لتكوين الذات الحقة ؛ والمرحلة الحسية هي تأكيد علىٰ عدم التوازن فإن الذات تقع في المرض الروحي(القلق) بلا وعي(١)؛ ف"النمط أو المدرج الحسي يفضي إلىٰ الملال والمالنخوليا (المزاج السوداوي)... والمالنخوليا وعكة روحية أو هستيريا روحية تجابه الإنسان بهاوية من الفراغ والخلو من المعنىٰ وتكشف عن القلق والانفصام في وجوده "(٢)؛" فالإنسان الجمالي وهو في شدة استغراقه في ملذاته وشهواته ، وفي غمرة ممارساته الحسية يتحول إلىٰ شيطان عربيد ؛ لا يعترف بقانون ، ولا يهتم بأخلاق ، ولا يبالي بأية قواعد ، وينتهي به الأمر إلىٰ خواء وعدم ،

= ـ مع الأسف ـ للغالبية العظمىٰ من الناس فنحن جميعـًا مركب يتألف من نفس وبدن ويتجه نحو الروح التي هي القصر، ولكن الإنسان يفضل أن يعيش في قبو أعني مقولات حسية ، وهو لا يفضل ذلك فحسب ؛ بل يثور ويتمرد ضد كل من يشير عليه بالخروج من القبو ليحيا في الأدوارالعليا الخالية،والتي هي دائمـًا في انتظاره.....الإنسان في حالة اللاوعي لا يستطيع أن يشعر بنفسه كروح ....اللاوعي أو الجهل باليأس هي مع الأسف الصورة الشائعة بين الناس فهناك عنصر مشترك بين الوثنية القديمة التي يذكرها لنا التاريخ وبين الوثنية في داخل المسيحية ذلك العنصر هو غياب الروح....لكن هناك فارقـًا بين الوثنية التاريخية القديمة والوثنية المسيحية؛ وهو أن الأولىٰ رغم أنه ينقصها الروح فإنها تسير يقينـًا في اتجاه الروح ، علىٰ حين أن الوثنية داخل العالم المسيحي ينقصها الروح، لكنها تسير مع ذلك في اتجاه بعيد عنها ،وهذا هو الغياب الحقيقي للروح .كيركجور ج٢/ ٣٠٨.

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ١٩٠.

(٢) دراسات في الفلسفة الوجودية ٥٨.

يقضيان علىٰ أمنه ويهدمان أمانه النفسي ويؤديان به لا محالة إلىٰ يأس رهيب وقلق مخيف ". (١)

هنا يكون الإنسان أمام مصيره، فإما أن يلبث في حياته الحسية، فيمكث أسير وجوده المتناهي، أو يختار ذاته في وجودها الأبدي ، والقلق أو معاناة القلق هو الوثبة التي بها ينتقل الإنسان من مرحلة عدم المعرفة بالذات إلىٰ بداية المعرفة بها ، وهكذا فإن فالدور الايجابي للقلق هنا هو أن يخلق في داخل الإنسان اهتماما بوجوده الأخلاقي، فيعمد إلىٰ تحقيق التزاماته الأخلاقية ليست اللحظوية بل الأبدية، فلا يعني الحب بالنسبة إلىٰ الرجل الأخلاقي حب النزوة كما في المرحلة الحسية ؛ بل يصبح الحب في الزواج حبا أبديا ، ويتحول إلىٰ واجب أخلاقي. إذن المثالية الأخلاقية هنا تنبع من داخل الذات وحاجتها في أن تصبح ملتزمة أخلاقيا.(٢)

ثانياً : القلق الأخلاقي (قلق الحرية):

في المرحلة الأخلاقية تبدأ الذات في معرفة نفسها بوصفها علاقة بين المتناهي واللامتناهي ؛ ومن هنا تدخل مقولة جديدة من وجهة نظر كيركجور ؛ وهي مقولة (الاختيار) بالمعنىٰ الصحيح ؛ فـ" السمة الأساسية التي يمتاز بها الإنسان الذي يعيش في المدرج الأخلاقي هي اتخاذ القرار والاختيار ، والمفاضلة بين إما هذا أو ذاك ؛ فالاختيار مقولة أخلاقية صرفة لا قبل لرجل

(١) جدل العقل والوجود ص : ٣٠٤.

(٢) المذاهب الوجودية ٣٦.

الحواس بها ". (١)

وفي هذه المرحلة يظهر نوع جديد من أنواع القلق وهو(القلق الأخلاقي) أو(قلق الحرية)المتعلق بعملية اختيار الذات ، وهو الشعور الدائم بأن كل اختيار له دلالته وأهميته ؛ إذ يصبح كل اختيار جزءاً من تاريخنا وماهيتنا.(٢)

ولكن ما بواعث القلق الأخلاقي ؟ ما الذي يجعل المرء يشعر بالقلق إزاء الحرية ؟ هناك من وجهة نظر كيركجور عدة بواعث للقلق بإزاء الحرية:

الباعث الأول :ما تنطوي عليه الحرية من مخاطرة : " فالإنسان حينما يختار لا يستطيع أن يختار كل أوجه الإمكانات المتاحة أمامه ؛ بل عليه أن يقتصر علىٰ اختيار واحد منها أو أكثر ، وفي هذا الاختيار يجازف الإنسان باختيار هذا الوجه أو ذاك".(٣) ومن هنا فـ " نحن ينتابنا القلق حينما نصدر قراراً لأن القرار يتضمن المخاطرة ؛ المخاطرة باختيار أحد الممكنات ونبذ كل الممكنات الأخرىٰ والتي تظهر في موقف ما؛ إن القرار يحدد مستقبلاً لا نراه أو لا نتنبأ به ، ومن هنا فهو مقرون دائماً بالخوف من مخاطرة إصداره ، وبالقلق الناجم عن تلك المخاطرة ".[٤] " يقول كيركجور إن الاختيار يجر

---

(١)جدل العقل والوجود ٢٩٣ ،في الفكر الحديث والمعاصر ١١٧ الوجودية (مقدمة قصيرة جداً) توماس آرفلين ،ت/ مروة عبد السلام ٤٢ كلمات للترجمة والنشر ط/ ١، ١٢٠٤ ،مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ٦٧.

(٢) انظر : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها هنتر ميد ، ت/ د/ فؤاد زكريا ٤١٠. دار النهضة القاهرة.

(٣) في الفكر الحديث والمعاصر ١٣٩، وانظر : كيركجرد فريتوف برنت ٨٣. دراسات في الفلسفة الوجودية ٩ ،١٧، ٢٢، فلاسفة وجوديون ص١٢إلىٰ ١٩.

(٤) في الفكر الحديث والمعاصر١٤٠ وانظر : الزمان الوجودي ١٨٣، ١٨٤.

إلىٰ الخطيئة وإلىٰ المخاطرة ، والمخاطرة بطبعها تؤدي إلىٰ القلق".(١) ولذا فـ" كثيراً ما يتخذ الاختيار في نظر كيركجور طابعـًا أليمـًا؛ إذ يجد المرء نفسه بإزاء طرفين عليه أن يختار بينهما فإما هذا وإما ذاك، بل إما الكل وإما لا شيء ، وهنا قد لا يكون ثمة موضع لأنصاف الحلول ...وكل تصميم تتخذه النفس إنما يتحقق في جو من الشك والقلق والمخاطرة ، إذ أن من طبيعة الاختيار نفسه أن يتم في جو من التناقض والصراع والحيرة...وإذا كان لابد للحرية من أن تعاني مرارة القلق والحيرة والمخاطرة فذلك لأنها تجد نفسها بإزاء إمكانيات حقيقية عليها أن تحقق اختيارها الحاسم فيما بينها ، متحملة في الوقت ذاته نتائج اختيارها ".(٢)

الباعث الثاني : إمكانية الوقوع في الشر مع عدم وجود أي قواعد تهدي الإنسان أثناء اختياراته :" فطالما كنت أتمتع بالقدرة علىٰ الاختيار فإنني أستطيع أن أختار الشر؛ فهناك إمكانية للشر بداخلنا ، هناك إمكانية إغراء وغواية ، ...حتىٰ أننا نشعر أن ما هو في خطر إنمـا هو خلاصنا الأبدي أو هلاكنا الأبدي...مع الصعوبة المتزايدة في أن نفرق بين ما هو خير وما هو شر، وأن نحدد ما إذا كانت إمكانية معينة هي إمكانية غواية ، أو إمكانية فداء وخلاص؛لأن كل شيء في منطقة الوجود مزدوج الدلالة ، وليس ثمة في العالم الخارجي علامات تساعدنا أو ترشدنا إلىٰ الاختيار الصحيح ...فليس ثمة قواعد جامدة أو ثابتة ولا علاقات حدود ، فنحن لسنا سوىٰ بحارة أقلعنا بغير بوصلة "(٣) ؛ فـ " القلق يرتبط بفكرة ازدواج الدلالة I ambiguite،أو

---

(١) نقلاً عن دراسات في الفلسفة الوجودية ٢٢.

(٢) الفلسفة الوجودية ص ٤٠ ،وانظر : المذاهب الوجودية ٣٩.

(٣) جدل العقل والوجود ٣٤٥ وانظر: جدل الإنسان ٥٥.

بالفكرة الجدلية عن تكافؤ القيمتين المتضادتين ambivalence دون أن يكون لدى الإنسان ما يعينه علىٰ اختيار إحدىٰ القيمتين".(١) يقول كيركجور (كل ما أعيشه أعيشه في التناقض لأن الحياة ليست سوىٰ متناقضات)(٢)

فمما يزيد من حدة القلق في موقف الاختيار أن كل إنسان منا ـ من وجهة نظر كيركجور ـ محصور في قطيعة أنطولوجية ؛ فهو كائن قذف به وحيداً في العالم وسط إمكاناته الخاصة ، وعليه وحده أن يكتشف هذه الإمكانات وأن يخرجها إلىٰ حيز الفعل ؛ والحقيقة هي علىٰ الدوام نتيجة قرار يتخذه ولا يمكن أن تتحقق إلا في الأفعال الحرة التي تنبثق عن هذا القرار .(٣)

الباعث الثالث : **ما يترتب علىٰ الحرية من عدم** ؛ ف" الإنسان في اختياره يقرر نقصانه ؛ **أولاً** لأن التحقيق يقتضي الاختيار لوجه ، والنبذ لسائر الوجوه ، مما يسمح للعدم بولوج الوجود ، ولهذا كان في الوجود هوة وثغرة لا يمكن ملؤها أبداً"(٤) ف " الوجود الماهوي حين يصير متحققاً في العالم تفقد الآنية بهذا السقوط في العالم بعضاً من إمكاناتها ؛ إذ لا تتحقق هذه الإمكانات حتىٰ بالنسبة إلىٰ شيء واحد ، وبالتالي ستظل ثمة أشياء لم تتحقق ؛ فالآنية إذن باعتبار وجودها في العالم يعوزها شيء ، وهذا العوز أو النقص هو العدم الذي يشعر به الإنسان في حال القلق ".(٥) **"وثانياً** لأن هناك حقيقة كبرىٰ

---

(١) بين سارتر وبرجسون أزمة الحرية ٦٠ ، وانظر : فلسفة جان بول سارتر ٤٠ .

(٢) حاشية ختامية كيركجور نقلاً عن الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ص ٢٨ .

(٣)العقل والثورة(هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)هربرت ماركيوز ت/ د/ فؤاد زكريا٢٥٩ الفلسفة الوجودية ٤٠

(٤) انظر:معنىٰ الوجودية ٢٨، الحياة الكريمة١٢٥ .

(٥) الزمان الوجودي ١٧٢ . وانظر المذاهب الوجودية ٤٤ .

تقف دون استمرار التحقيق ألا وهي الموت ؛ ومن هنا جاءت الصلة الوثيقة بين العدم والحرية والقلق" . (١)

يقول كيركجور:"...إن القلق هو مواجهة الذات لعدمها الخاص ".(٢) كما يقول:"أنا أغز الوجود بإصبعي فلا تفوح منه سوىٰ رائحة العدم!"(٣) " كم هي الحياة فارغة وبلا معنىٰ ؛ الإنسان يدفن شخصاً ما ؛ إنه يتبعه حتىٰ القبر ، وهو يلقي ثلاث حفنات من التراب عليه ، وهو يركب إلىٰ هناك عربة ، ويعود إلىٰ بيته راكباً عربة، وهو يعزي نفسه بأن حياة طويلة تنتظره ، فكم طول ثلاث سنوات جارحة وعشر ؟ لماذا لا يتخلص منها الإنسان في التو؟ لماذا لا يقيم الإنسان هناك ويهبط إلىٰ القبر بالمثل ، ويسحب القرعة لهذا الذي سيكون لسوء حظه آخر الأحياء ، ويلقي بآخر ثلاث حفنات من الأرض علىٰ آخر الموتىٰ؟ "(٤)

وبالإضافة إلىٰ ذلك فـ" إذا كان من الصواب أن تقول إن الإمكان يمثل عدماً أو لا وجوداً فإن هذا اللاوجود له جاذبية خاصة ؛ إذ هنا تستطيع الذات أن ترىٰ أنها لا متناهية ، ومع ذلك فإن هذا الضرب من العدم الذي يمثله الإمكان له أيضاً جانبه الكريه المنفر ؛ فكلما تعمق المرء في إدراك حياته بوصفها مؤلفة من نظام الممكنات رأىٰ وجوده سراباً ، وتيقن أن حياته ليست واقعاً حقيقياً ، وهذا النقص في واقعية الذات تخبره من خلال القلق ؛ وعندها

---

(١) انظرمعنىٰ الوجودية ٢٨ .وانظر الحياة الكريمة١٢٥ .

(٢) انظر : كيركجور، د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٢.

(٣) التكرار كيركجور نقلاً عن سرن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٧٩، ج٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٤) كيركجرد فريتوف برنت ص ٤٧.

يدرك المرء أن التحقق الذاتي هو حد لإمكانات الفرد " (١)

لذلك يمكننا القول إن سارتر كان علىٰ حق تماماً حينما قال بتقارب مفهوم القلق لدىٰ هيدجر وكيركجور وأن كيركجور بالرغم من أن قلقه كان قلقاً بإزاء الحرية إلا أنه لم يلغ القلق بإزاء التناهي والعدم .(٢)

هذا ويوضح لنا كيركجور أنه إذا كان الوجود الأخلاقي أكثر توازناً من الوجود الحسي وأن الذات تحقق نفسها عن طريق الكثير من المثل العليا إلا أن الوجود يظل في هذه المرحلة نصف وجود ؛ فالذات لا تصل إلىٰ الإنجاز التام والتحقيق السليم ؛ لا تصل إلىٰ مرحلة الروح الحقيقية ؛ ذلك أن الذات لن تصبح ذاتاً لا متناهية إلا إذا قصدت الإله ،وفي هذه المرحلة الأخلاقية القواعد الكلية العامة هي صاحبة السيطرة علىٰ الفرد ،والله متحد مع (الواجب الأخلاقي)؛ فلا تمييز بين الله و بين النظام الأخلاقي، فالأبدي يكون معه في دائرة الزمان(٣) فبالرغم من أن الاعتراف بالله موجود لدىٰ الإنسان في هذه المرحلة و" عدد كبير من الناس الذين يشغلهم هذا الطراز من الحياة الأخلاقية يؤسسون القواعد الأخلاقية التي تحكم حياتهم علىٰ إرادة الله"(٤)؛ إلا أن الأخلاق تهتم بالقيم والخير والشر والحسن والقبح والصواب والخطأ؛ لكنها لا تهتم بالخطيئة ؛ الأخلاق قوانين مطلقة أو نسبية ؛ غير أن الخطيئة تحدٍ موجهاً ضد الحقيقة المتعالية (الله).

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٤٥. بتصرف .

(٢) الوجودية : ٢٤٥.

(٣) جدل العقل والوجود ٣٦٢، وانظر المرجع نفسه ٣١٠.

(٤) دراسات في الفلسفة الوجودية ٦٧.

" فارتكاب الخطيئة من وجهة نظره لا يمكن أن يفسر بأنه كسر لقاعدة أخلاقية، الخطيئة ليست انتهاكـًا لقاعدة ، بل هي انتهاك لشخص الله " .(١) ومن هنا " يقرر كيركجور أنه حينما يعتقد المرء أن بإمكانه الوصول إلىٰ الصواب بواسطة تحقيق مواد القانون وحسب ؛ فإن الأخلاق تصبح بمثابة حاجز معضل للحقيقة ؛ ذلك لأن العقيدة تنطوي علىٰ فرد قائم في الزمان يقف في مواجهة مع أبدي يتبدىٰ كشخص في الزمان ، ويمكننا أن نعبر عن ذلك بصورة أخرىٰ فنقول : إن المتطلبات المثالية للأخلاق تجعلنا علىٰ وعي بفشلنا ؛ لكنها لا تبعث حياة جديدة ؛ بينما يبدأ الإيمان بالحقيقة ؛ حقيقة الحياة الجديدة بدلاً من أن يرتكز فقط علىٰ المثاليات ، إن الأخلاق بتعميقها الوعي بالصراع الأخلاقي يمكن أن تمهد الجو للخلاص sailvation ؛ لكنها لا يمكن أن تؤسس هذا الخلاص " .(٢)

وهنا نتساءل : إذا كان الوجود في المرحلة الأخلاقية يمثل من وجهة نظر كيركجور نصف وجود ؛ فمتىٰ وكيف يصبح وجود الذات وجوداً حقيقـًا أصيلاً كاملاً ؟ ونجيب بأن الإنسان حينما يبدأ باتخاذ قراراته الأخلاقية ـ فيما يرىٰ كيركجور ـ ينكشف له الوجود بوصفه ينطوي أساسـًا علىٰ مفارقة إن لم يكن عبثاً absurd ؛ فالعالم الذي يحيا فيه لا معقول وعبثي (٣) ولذا يبدأ الإنسان يتساءل كما تساءل كيركجور نفسه : من أنا ؟ ما هو هذا الشيء الذي أسميه بالعالم ؟ ما الذي أغراني بهذا الشيء وتركني الآن هنا ؟ كيف جئت إلىٰ

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية ٦٧.

(٢) كيركجور د/ علي عبد المعطي ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) الوجودية :جون ماكوري :٢٤٦،وانظر: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ٤١٢. الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر ٢٥٨.

هذا العالم ...؟ لماذا لم أستشر ؟ لماذا لم أتصل اتصالاً مباشراً بعاداته وتقاليده ؛ بل قذف بي في قلبه كما لو كنت قد جيء بي من عند تاجر رقيق؟ " (١)

" ما الذي سيحدث ؟ ما الذي سيحمله المستقبل ؟ أنا لا أعرف ليست لدي أدنىٰ فكرة فعندما يندفع عنكبوت من نقطة ثابتة إلىٰ النتائج المترتبة علىٰ اندفاعه ؛ فإنه يرىٰ أمامه فراغـًا خاليـًا ؛ حيث لا يتبين أثراً ، ولا يهم ما قد يتخبط فيه ، وهكذا الحال معي ؛ أمامي دائمـًا الفراغ الخالي ، والذي يدفعني هو النتيجة القائمة ورائي ، إن هذه الحياة مقلوبة رأسـًا علىٰ عقب ومخيفة ، ولا يمكن لإنسان أن يطيقها، وهكذا أنا لست سيد حياتي، إنني لست إلا خيطـًا يتناسج في قماش الحياة ! "(٢) "إنه قلق بلا اسم ، قلق الحياة والناس ، وكل شيء يعتصر قلبي" .(٣) إن عدم معقولية الحياة تملأ نفس الإنسان بالقلق واليأس، والإحساس بالعجز والاكتئاب.

وعندما تصل الذات إلىٰ مرحلة العبث(humour) أو مرحلة الإحساس بعدم معقولية الحياة تكون قد وصلت إلىٰ مرحلة الانتقال من المرحلة الأخلاقية إلىٰ المرحلة الدينية ، وأكبر خصائص هذه المرحلة هي المعرفة اليقينية بأن الحياة ألم ومعاناة ...حيث يفهم الفرد نفسه وهو إزاء الله من خلال

---

(١)التكرار كيركجور نقلا عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح، ج١/ ٢٩٧، وانظر : في الفكر الحديث والمعاصر٩٨. الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ٤١٢، ٤١٥، كيركجارد ،د/ علي عبد المعطي ٣٨.جدل العقل والوجود ٢٧٤.

(٢) نقلا عن كيركجرد فريتوف برنت ص :٤٨.

(٣) التكرار نقلا عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٩٧ .

المعاناة[1] ؛ معاناة القلق والإحساس بالخطيئة ؛ و" باختصار فإننا نتجه إلىٰ إدراك مدىٰ تغلغل الشر في الإنسان، مما يصعب تحقيق المثل الأعلىٰ للأخلاق ، وبعد أن ندرك ذلك نمر بحالات واهنة من الندم والشعور بالذنب ، تؤدي كما قال كيركجور إلىٰ اقتلاع قلوبنا من صدورنا ، ومرة أخرىٰ يتوقف كل شيء علىٰ : هل نصمم علىٰ المخاطرة بالوجود والتضحية إيذانـًا بدخولنا في المرحلة الدينية ".(٢)

فالعلاقة بين الله والإنسان في الزمان لا يمكن أن تكون في البداية علاقة طاعة من جانب الإنسان ؛ وإنما هي علاقة تمرد ، وهكذا فإن الطابع التاريخي لظهور الله يتضمن الخطيئة ، وربما نستطيع أن نقول مع كيركجور إن الفداء بمعنىٰ ما ، هو الذي سبب الخطيئة ، وهذا ما عبر عنه القديس بولس ...(أما الناموس فدخل لكي تكثر الخطيئة ولكن حيث كثرت الخطيئة إزدادت النعمة جداً) (رسالة إلىٰ أهل رومية الإصحاح الخامس عدد ٢٠) "[3]

و" يبدو أن القلق المترتب علىٰ الخطيئة وكأنه يدعم الإحساس بالوجود ويؤدي إلىٰ تعميق شعور الفرد بكيانه ووجوده ، بحيث يمكننا القول بأن الوجود هو قلق وخطيئة"(٤) فـ " الذات تؤكد نفسها في الخطيئة باعتبارها

---

[1] دراسات في الفلسفة الوجودية ٥٠.

[2] الحياة الكريمة ١٣٩.

[3] تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ٦٢.

[4] جدل العقل والوجود : ٣٦٣. " الخطيئة ـ مثلها في ذلك مثل جميع الأفكار التي يعرضها كيركجور ـ جدلية أو ثنائية في طبيعتها ؛ فهي تعبر عن قوة وضعف في وقت واحد، أو هي تمرد وإذعان في الآن عينه ؛ حيث نجد في الخطيئة خرقـًا وانتهاكـًا لقانون إلهي ، وهي مع ذلك لن يكون لها معنىٰ إلا من حيث صلتنا بالله"لأنها " لا توجد إلا

موجوداً مستقلاً عن الله ، ولكنها مع ذلك تشعر أنها علىٰ صلة بالله بمقتضىٰ ذلك الفعل نفسه الذي به انفصلت عن الله ، وحينما يستولي الشعور بالخطيئة علىٰ النفس الآثمة المنسحقة أمام الله فإنها لابد من أن تجد نفسها بإزاء الله وجهـًا لوجه ، وبهذا المعنىٰ يمكننا أن نقول إن الوجود في أعلىٰ درجاته ألم وعذاب ،أو هو علىٰ وجه التحديد عذاب ديني ؛ لأن الخطيئة هي التي تقودنا إلىٰ أعتاب الوجود الديني الصحيح ، والرجل المذنب أو الخاطئ لابد من أن يجد نفسه وحيداً أمام الله ، وهو لابد أيضـًا أن يتأمل حريته في صميم تلك الخطيئة التي وقع في عبوديتها . ولكن الله يريد الشعور بالخطيئة ، ويريد للمذنب أن يشعر بالقلق ؛ لأن هذين هما الشرطان اللذان لابد منهما حتىٰ يصبح الفداء ممكنـًا ، وحتىٰ يخلي القلق سبيله للشعور بالسكينة والاطمئنان ، وكأن الله يريدنا أن نلمس قاع الهاوية حتىٰ يصعدنا هو من قاع تلك الهاوية ، أو كما قال كيركجور نفسه إنني لأهوىٰ الموجة التي تقذف بي إلىٰ أعماق الهاوية، فإنها تقذف بي أيضـًا إلىٰ ما وراء النجوم." (١)

لقد امتلكت الذات القدرة علىٰ تحقيق وجودها من خلال حرية اتخاذ القرار، لكن هذه الحرية قد ضاعت من خلال ضياع الذات بوقوعها في الخطيئة ؛ سواء كانت الخطيئة الأبدية، الموروثة –خطيئة سيدنا أدم ـ أو خطيئة الذات في الابتعاد إراديا وبشكل واع عن الله ، ولذا فإن بداية خلاص الإنسان تكون في الابتعاد عن كل معرفة ، وعدم اللجوء إلىٰ العقل والتعقل ، والاعتماد كليـًا

= عندما يكون الإنسان واعيـًا بنفسه باعتباره مخطئـًا ، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا في الجانب الذاتي من الوعي حيث يجد المرء نفسه في علاقته مع الله ". جدل العقل والوجود٣٥٨.

(١) الفلسفة الوجودية ٤٣. المذاهب الوجودية ٤٥ ، وانظر الوجودية ٢٤١.

علىٰ الله؛ بأن يصبح الإنسان مؤمنا بشكل كامل ؛ أي أن يصبح ذاتا تستمد وجودها الكلي من المطلق . " ففي هذه المرحلة نترك الجوانب الأخلاقية جانبـًا ونتوقف عن البحث عن مبررات أو تفاسير لأفعالنا بالرجوع إلىٰ المعايير الأخلاقية ، ونضع ثقتنا كلها في الله وحده، ونحاول تجربة حضوره في أرواحنا ، وبمجرد استماعنا إلىٰ صوت الله فإننا نعترف بسلطانه المطلق ، ونعلو فوق اهتمامنا بتحقيق حياة شخصية قائمة علىٰ المتعة أو علىٰ التزامنا بتحقيق الخير للإنسان هذا هو الالتزام بالإيمان الذي يتجاوز احتياجات العقل أو الأخلاق ، إن هذا الموقف تبعـًا لما عبر عنه كيركجور موقف بين بديلين ؛ فإما أن نثق بالله أو نعتمد علىٰ معايير الإنسان".(١)

---

(١) الحياة الكريمة ١٣٩ .وضع كيركجور اتجاه الرجل الأخلاقي في مقابل اتجاه الرجل المتدين وذلك في كتابه الخوف والقشعريرة ، ففيه بحث في المشكلة الناشئة عن ذبح إبراهيم لابنه إسحاق بقصد التضحية ، فرأىٰ كيركجور أنه كان علىٰ إبراهيم أن يختار بين ما تتطلبه الأخلاق من تجنب القتل ،وما يتطلبه الأمر الديني الصادر من الله بالتضحية بابنه . فتساءل كيركجور :ألا يحدث أن يقتضي الإلتزام الديني أن يعطل الإنسان الاعتبار الأخلاقي ؟ واستعان كيركجور بقصة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق (الذبيح في التوراة كان إسحاق وليس إسماعيل كما ورد في القرآن الكريم) كنموذج للحياة الدينية الحقة ؛ فتبعـًا للرواية التي وردت في التوراة فإن الله قد أمر إبراهيم بالتضحية بابنه إسحاق ، وأبدىٰ إبراهيم استعداده لذلك ولم يتردد في تنفيذ الأمر الإلهي و، لم يتساءل عن صحة أمر الله ومعقوليته ، ولم يتساءل أيضـًا هل كان الأمر صحيحا وصادراً حقـًا من الله أم كان الصوت الذي سمعه من صنع الخيال ، وقام بكل بساطة بالعمل تبعـًا لمسئوليته الأولية ؛ فاتبع كلمة الله ، وعوضـًا عن البحث والتنقيب عن الله اعتماداً علىٰ المنطق ، وبدلاً من القول بأنه ليس في مقدور الله إصدار أمر بالقيام بعمل يتنافىٰ والعقل،

إذا كانت هناك علاقة بين الله وبين الإنسان ؛ فإن وجه الاختلاف يرجع إلىٰ إساءة استخدام الإنسان لحريته ؛ يعني أن المعضلة الرئيسية تتمثل في خطيئة الإنسان ، وأن تلك المعضلة لا يمكن التغلب عليها بواسطة العقل ، ومن هنا فإن التبدي لم يأخذ صورة حقائق عليا ؛ بل أخذ صورة فعل شخصي يعيد الزمالة مع الله ، ويزيل الاغتراب الروحي ، وهذا الفعل الشخصي تمثل في الإنسان الإله في التاريخ".(١) يقول كيركجور :" إن حقيقة الحرية التي فقدناها في تلك اللحظة الخفية التي سحر فيها أبونا آدم بسحر لا يمكن فهمه ؛ فعطف علىٰ شجرة الحياة ، لكي يتذوق من ثمار شجرة العلم ، هذه الحرية لن تبعث من جديد إلا في اللحظة التي ستفقد فيها المعرفة سطوتها علىٰ الإنسان".(٢)

فليس في الدين معرفة ؛ وإنما عاطفة وحب وإيمان ؛ ومن هنا قال السيد المسيح : (الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي) وذلك يصدق علىٰ كل شيء آخر ؛ فما يحبه المرء يظهر له نفسه ، والحقيقة تظهر لكل من يحبها ؛ ولهذا قال السيد المسيح (من يحبني ولم يقل من يعرفني (بالحب وحده نؤمن،لا بالمعرفة ، بالقلب لا بالعقل ". (٣) ف" الإيمان هو وسيلة

=

أو حصر الله في نطاق الأخلاق ، بالزعم بأنه لا يستطيع إصدار أمر لا أخلاقي ؛ فقد قبل الكلمة العليا لله بلا نقاش . وتمثل هذه الحكاية التوراتية في نظر كيركجور طبيعة المفارقة في الإيمان الذي يتطلب الوثوق الكامل حتىٰ في مواجهة السخف .الحياة الكريمة ١٣٩ .

(١) في الفكر الحديث والمعاصر ٩٣ .بتصرف .

(٢) الحرية في الفلسفة الوجودية ٧٢ .

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١ / ٢٤.

المعرفة،وأن المعرفة تأتي من خلال الشعور بالخطيئة ، وأن حياة الإنسان يمكن أن تتغير في لحظة اتخاذ القرار". [١]

" أما كيف نقدم على الحياة في هذا المجال الأخير فإن ذلك لا يكون إلا عبر قفزة "وثبة" في المجهول ، وتنتهي إلى أن يكون الإنسان بين يدي الله ، والعواطف المتقدة المتدفقة وعلى رأسها القلق هي التي تقود إلى هذه المخاطرة والقفزة (٢) وهنا تأتي المرحلة الدينية كما يراها لتعصم الإنسان عن خطاياه الجمالية والأخلاقية محققا بذلك وجودا يرتقي به لمستوى وقوفه أمام الله.

ثالثاً : القلق الديني (اللاهوتي)

تأتي المرحلة الثالثة أو المدرج الثالث وهو المدرج الديني والذي يتمثل في الإيمان بوجود إله حي مشخص بيننا وبينه علاقة ذاتية ؛ أي علاقة تربط بين ذات إنسانية مشخصة وذات إلهية حية ؛ فالإيمان ذو طابع وجودي، فهو ليس فكراً أو معرفة، ولكنه علاقة عينية حميمية، وتواصل بين موجودين؛ **بين المؤمن والله** .[٣]

وفي هذه المرحلة الدينية يظهر نوع جديد من أنواع القلق ؛ وهو القلق الديني أو القلق اللاهوتي ؛ فـ" لو أنعمنا النظر في الإيمان الحقيقي على نحو ما وصفه لنا كيركجور لوجدنا أن الاعتقاد في الله قلما يخلو من كل شائبة من شوائب التناقض والالتباس والارتياب والقلق والتردد والتمزق الداخلي والحصر النفسي ...إلخ ؛ فليس المؤمن هو الشخص المطمئن الواثق الغارق

---

[١] دراسات في الفلسفة الوجودية : ٦٥ .

[٢] أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٨٢ .

[٣] انظر: المصدر السابق ١٧٨ .

في فيض علوي من السعادة ؛ بل هو شخص معذب قلق ، يحيا في صراع مستمر مع اللامتناهي، ويجد نفسه دائماً في غمرة التناقض...فليس في الاعتقاد بالله ثقة نهائية ، أو بينة خارجية أو يقين حاسم بل هناك توتر ديالكتيكي وصراع حي وقلق وجودي ".(١)

إن العلاقة بين الله والإنسان هي في صميمها علاقة ديالكتيكية لا تخلو من صراع وتناقض ومجاهدة ومواجهة مستمرة ، ولعل هذا هو ما حدا بكيركجور إلىٰ إدخال عنصر القلق في صميم " الشعور الديني" بوصفه تلك العلاقة التي تقوم في داخلي بين المتناهي واللامتناهي بين الزمان والأبدية بين الخطيئة والفداء بين الشر والخلاص (٢)

ففي المرحلة الدينية " يظهر الألم في جميع أشكاله ، وتقتصر الحياة الصميمة مع (المسيح) ـ بدلاً من إنقاص الألم ـ تقتصر علىٰ المضي به إلىٰ أسمىٰ وجهات النظر ... فالمسيحي المتألم مع المسيح سينتهي بأن يقبل مرارة (الصليب) التي لا يسبر غورها ، وبأن يفهم المعنىٰ الحقيقي للوعد : (إن نيري عذب وحملي خفيف) "(٣) وهكذا " ارتبط الإيمان في نظره بعناصر القلق والحصر والتمزق الداخلي وظن كيركجور أن الإيمان لا يكون حقيقياً إلا بقدر ما يقترن به من هذه العوامل النفسية".(٤) يقول كيركجور: " إن الوجود

---

(١) جدل العقل والوجود ٣٤٩ ،مشكلة الإنسان م/ ٢ من سلسلة مشكلات فلسفية ، زكريا إبراهيم ص ١٩٠، مكتبة مصر .

(٢) الفلسفة الوجودية من ٤١، ٤٥ ، جدل العقل والوجود٣٤٩، ٣٥٠ .

(٣) كيركيغارد ، بيار مسنار٣٩بتصرف .

(٤) الفلسفة الوجودية ٣١.

البشري هو في جوهره عذاب ديني علىٰ نحو خاص".(١)

"ويمضي كيركجور إلىٰ حد أبعد من ذلك فيقرر أن القلق الوجودي المشوب بانعدام اليقين إنما هو الأمارة الصحيحة علىٰ وجود علاقة بين الإنسان والله؛ ومعنىٰ هذا أنه حينما لا يكون الفرد علىٰ ثقة من وجود علاقة بينه وبين الله ؛ فهنالك فقط تكون ثمة علاقة بينه وبين الله ، وأما أؤلئك الذين يظنون أنهم علىٰ صلة بالله ؛ فهؤلاء بلا شك قد عدموا كل صلة بالله ، وتبعـًا لذلك فإنه ليس ثمة إيمان بدون مخاطرة وصراع ومجاهدة ، كما أنه ليس ثمة حقيقة بدون تشكك وارتياب ومساجلة ، ومهما ظن البعض أنه لا موضع لليأس في المؤمن ؛ فإنه لابد للمؤمن من أن يجتاز أعنف تجارب اليأس، وأقسىٰ حالات القلق ، وكأن الله نفسه يريدنا أن نلمس قاع الهاوية"(٢)." فالطريق إلىٰ الله مليئ بالأشواك والعذاب والدموع، وبمقدار تحملك للآلام تكون علاقتك بالله ؛ حتىٰ الرسول الذي تكون علاقته بالله مباشرة فإن هذه العلاقة تعتمد علىٰ مقدار تحمله لآلام تفوق طاقة البشر"[٣] ، " لو جاز أن يتعلم الإنسان طاعة الله خارج الألم ، لما احتاج يسوع المسيح بوصفه إنسانا إلىٰ تعلمها بالآلام ، إن هذه الآلام قد علمته الطاعة الإنسانية... الألم إذن هو المدرسة الوحيدة للسرمدية ؛ لأن السرمدية تفترض الإيمان ". (٤)

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل :إذا كانت الذات قد حققت وجودها الأصيل واتحدت بالمطلق فما هو الباعث علىٰ القلق إذن ؟

---

(١) جدل العقل والوجود ٢٦٦.

(٢) جدل العقل والوجود ٣٤٩ ، الفلسفة الوجودية ٣٣ ، مشكلة الإنسان ١٩٠.

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٦٣.

(٤) كيركيغارد ، بيار مسنار ٩٩.

إن متطلبات الحياة الدينية من وجهة نظر كيركجور هي أساس القلق والعذاب ؛ إذ تتطلب أن يتخلىٰ المؤمن عن كل غاية أرضية نسبية، ويزهد في كل متعة وسعادة، ليقتحم عالمـاً يموج بالفتن والمحن والاختبارات، ويقبل علىٰ مخاطرة شاملة ، يوضع فيها وجوده كله في الميزان ؛ لأنه يسعىٰ حينئذ إلىٰ المطلق "(١) وشعاره أن «من يناضل في سبيل الوجود الأسمىٰ، عليه أن يحرم نفسه من أفراح الوجود الدنيا» ف" الإيمان يتجلىٰ علىٰ أكثر الأصعدة تنوعـاً في حلة هبوب أسوأ العواصف؛ إنه فيما يتصل بالحياة الباطنية محنة ليل الحواس ؛ حيث ينبغي علىٰ الفرد أن يعزف عن ذاته وهو فيما يتصل بالحياة الاجتماعية إقامة علاقة منارة مع العالم ؛ وهذا ما يجعل المسيحي يبدو في حلة خصم (قيصر)؛بل عدو الجنس البشري ".[٢]

من خلال العرض السابق لأنواع القلق وبواعثه لاحظنا أن القلق موجود في جميع المراحل التي تجتازها الذات لبلوغ وجودها الأصيل وإن اختلفت أنواعه ومصادره ؛ بل إن الإيمان نفسه والذي يمثل الوجود الأصيل كان ـ أيضـاً ـ قلقـاً.

وهكذا **" إذا أردنا أن نميز الوجود بعلامة لا تخطئ من وجه ما فإننا نقول إنه خاضع لليأس والقلق** ولا تستطيع أية حياة إنسانية أن تفلت من القلق**"**؛[٣] فالوجود نضال بين الذات والمطلق ، بين الله وبين العالم ، بين الواقع وبين المثال ؛ بين اللحظة الحاضرة ومجموع الحياة ، بين الزمان وبين السرمدية ، بين العلم وبين الإيمان . الحياة في نظر كيركجور ليست سوىٰ معاناة الذات

---

(١) أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٨٢ .

(٢) كيركيغارد ، بيار مسنار ٣٩

(٣) المذاهب الوجودية ٤٥ . وانظر كيركجورد ، د/ علىٰ عبد المعطي محمد ٣١٦ .

للوجود في محاولة لتعزيز مصيرها ، والوجود ـ علىٰ هذا النحو ـ هو الاختيار وهو الصيرورة وهو حياة الوحدة والتفرد وهو الشعور بالخطيئة ، ثم هو أخيراً الوجود أمام الله .[1]

(1) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية ص٨.

المبحث الثالث :

علاج القلق في فكر كيركجور

بعد أن عرضنا مفهوم القلق وأنواعه أو مراحله التي تمر بها الذات الإنسانية ، وبينا البواعث التي تثيره في كل مرحلة من تلك المراحل من وجهة نظر كيركجور ، آن لنا أن نتساءل عن العلاج أو الحل الذي طرحه كيركجور لمشكلة(القلق الإنساني) .

ما الدواء الذي يصفه كيركجور لمن يعاني من داء (القلق الإنساني) ؟

أو ما الوسائل التي يطرحها كيركجور للقضاء علىٰ(القلق الإنساني)؟

بداية نريد أن ننوه إلىٰ أن الحديث عن حل أو علاج لشعور ما إنما هو حديث من ينظر إلىٰ ذلك الشعور باعتباره شعوراً سلبياً محضاً ، أو مرضاً يتطلب علاجاً؛ **لكن جميع مشاعر الإنسان وعواطفه في الفكر الوجودي بصفة عامة وفي فلسفة كيركجور بصفة خاصة لا تقسم إلىٰ مشاعر إيجابية وأخرىٰ سلبية ؛ فجميع المشاعر لها جانب سلبي وجانب إيجابي ؛** وكيركجور يجعل للقلق العديد من الإيجابيات " فالقلق هو الذي يضع المرء في مدرسة الممكنات الأكثر رعباً ، والقلق هو الذي يجعله يتعلم الحكمة الأكثر علواً ، القلق هو الذي يأكل كل ما هو زماني، وينخر أشياء العالم المتناهي ، ويجرد الأوهام ويعريها ، القلق هو الذي يجتث الصغائر ، وهو المضيق الذي يفضي بنا نحو الأعالي ، وهو الباب الضيق الذي علينا أن نجتهد لندخل منه إلىٰ الفردوس ، القلق هو الذي يبني الفرد أثناء تحطيمه لجميع ألوان التناهي ، والقلق هو الذي يفتش جميع الزوايا ليطهر كل الأركان مما فيها من عفن ، وهو الذي يولد في الفرد الإحساس بالممكنات ، ويعلمه بطريقة لا متناهية عندما يفتح أمامه آفاق اللاتناهي ، وفي كل قلق يأتي بغتة يرحب القلق بوصوله

، وعندما لا يكون هناك أي سند ؛ عندما يضيع كل شيء ؛ عندما يكون الإنسان ميتاً في نفسه وعقله ؛ يصبح القلق الروح المنقذة التي تقود الإنسان إلىٰ حيث يريد ؛ فالقلق هو علاج القلق ، كما أن اليأس هو علاج اليأس ، عندئذ يولد في النفس ذلك الشعور الجديد ، ذلك القلق الجديد الذي وصفه كيركجور في كتابه أحاديث دينية ....(قلق يطهر الجو ويجعل كل شيء جميلاً ؛ محبوباً أكثر ، داخلياً أكثر ، ومدهشاً أكثر " .(١)

ومن هنا وجدنا كيركجور والوجوديين من بعده قد أوصوا بتحمل القلق ؛ لا الفرار منه ؛ يقول هنترميد : " لو كان هناك علاج نفسي تدعو إليه الوجودية ؛ لكان هذا العلاج معينا للفرد علىٰ أن يعيش مع القلق لا البحث عن وسائل للقضاء عليه".(٢)

وبالإضافة إلىٰ ما سبق فإن جميع المشاعر عند كيركجور والوجوديين من بعده لها طابع جدلي (٣) فـ" العاطفة تحوي في الأصل إمكانية التألم والحب والقلق ، يقابلها السرور والكراهية والطمأنينة ، وتكون العاطفة وحدة متوترة؛ أي أنه قد يخالج النفس في بعض الأحيان نوع من التألم السار ، أو الحب الكاره ، أو القلق المطمئن ". (٤) وجميع " المقولات التي عرض لها كيركجور مثل القلق واليأس والموت والاختيار تعبر بحق عن روح الجدل ؛ بمعنىٰ أنها تنطوي في داخلها علىٰ تعارض باطني ؛ فالبدء يتضمن النهاية ،

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح، ج٢/ فلسفته ٣٦٦.

(٢) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ٤١٠. وانظر : جدل العقل والوجود ٢٧٠.

(٣) جدل العقل والوجود ٣٢٣.

(٤) معنىٰ الوجودية ٢٠. الزمان الوجودي ١٥٦ ، دراسات في الفلسفة الوجودية ٢٩٣.

والقلق ينطوي على الطمأنينة، والموت يتطلب الحياة ".(١) و" الجدل الكيفي عند كيركجور الأضداد فيه لا تختفي والصراع فيه لا تخف حدته"(٢)؛ إنه " جدل لا تحل متناقضاته ، ولا يلغى الصراع بين الأضداد في مركب أعلى ...فليس هناك رفع Aufhebung ؛ وإنما الجانب الداخلي في الإنسان مِرْجَلٌ يغلي دون أن يكف لحظة واحدة عن الغليان ؛ والموجود الفرد يعيش دائماً في توتر مرعب ؛ وهو لا يختار أحد النقيضين ؛ ولكنه يختارهما معاً ، إنه يختار وحدة هذين المتناقضين في تناقضهما ذاته ويتمسك بهما معاً".(٣) **ونحن إذا تأملنا في شعور (القلق الإنساني) على نحو ما عرضناه في فكر كيركجور في الصفحات الماضية نلاحظ أن القلق اتخذ مفهومه طابعاً جدلياً ، ولم يكن يمثل فقط المشكلة ؛ وإنما كان هو نفسه الحل** ؛ فالقلق يصاحب الذات منذ براءتها الأولى وحتى تعاد إليها هذه البراءة مرة أخرى عن طريق الإيمان ؛ ففي كل مرحلة من المراحل التي تمر بها الذات كان يوجد نوع من أنواع القلق ، ولكي تعالج الذات منه تقوم بوثبة وجودية يقودها القلق أيضاً لتصل إلى المرحلة التالية ؛ فـ" إذا كان القلق هو الذي قادنا للخطيئة وجعلنا مذنبين ؛ فهو نفسه الذي سيقودنا إلى الإيمان ويعيد إلينا البراءة " .(٤)

ولكن ينبغي هنا أن ننبه إلى أنه إذا كان القلق شعوراً له العديد من الإيجابيات و ذا طابع جدلي ، وإذا كان يمثل مشكلة وحلاً في آن معاً فإنه ليس غاية في ذاته في فكر كيركجور وإنما وسيلة تقودنا نحو المطلق ؛ نحو

---

(١) جدل العقل والوجود ٣٢٣.

(٢) جدل الإنسان٣٨ باختصار.

(٣) جدل الإنسان٣٨ وانظر : الزمان الوجودي ١٥٦. جدل العقل والوجود ٣٣٠.

(٤) كيركجور إمام ج٢/ فلسفته ٣٦٦. الوجودية ، ماكوري ٢٤٢ ، بتصرف .

اللامتناهي الذي يمثل الاتحاد به الحل الوحيد لمعضلة الوجود البشري ؛ فكيركجور يدعونا أن نعيش الحياة بتوتر وقلق مستمرين من أجل الحصول علىٰ السعادة الأزلية بتحقق الذات الأصيلة المتكاملة من خلال ارتباطها بالله .

يقول كيركجور: " ذلك هو الطريق الذي ينبغي علينا جميعاً أن نسير فيه:أن نعبر جسر التنهدات حتىٰ نصل إلىٰ الأبدية ".(١)

إن كيركجور في تحليلاته للقلق واليأس والإثم قد بحث عن شروط الصحة النفسية فلم ير أن الإنسان ينالها إلا بالإيمان حتىٰ يتحقق الاتزان بين قطبي الذات؛ بين قطب العمل وقطب المشروعات ، بين الضرورة والإمكان ؛ بين المتناهي واللامتناهي ، فينأىٰ بذاته عن الضعف والتحدي مصدر كل يأس ، وموطن كل إثم ".(٢) ف" السبيل الوحيد الذي يتيح للإنسان أن يتخلص من التمزق واليأس والقلق الذي يكتنف حياته إنما يتم باللجوء إلىٰ الإيمان ؛ فالإيمان هو ملاذنا ومأوانا مما نكابده ونعانيه ".(٣)

فإذا كان الوجود الإنساني ـ من وجهة النظر الكيركجورية ـ وجود لا معقول في هذا العالم ؛ فإن الإيمان المطلق بالله هو الشئ الوحيد الذي يمكننا من التغلب علىٰ عدم معقوليته، ف" لا يوجد في رأي كيركجور أي حل عقلي أو بشري لمعضلة الوجود البشري ؛ فليس ثمة حل بشري لأن تناهي الإنسان وخطيئته يجعلان من المستحيل عليه أن يصل إلىٰ خلاصه الخاص ، وليس ثمة حل عقلي لأن مفارقة الوجود البشري لا يمكن حلها بمقولات عقلية "

---

(١) نقلاً عن كيركجور رائد الوجودية ج١/ ٢٣، ٢٤.

(٢) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ١٠٩، ١١٠.

(٣) جدل العقل والوجود٢٧٤ .

(١).

يقول الدكتور حسن يوسف : " مشكلة الوجود بالنسبة لكيركجور لا يمكن أن تحل بشكل عقلي أو بشكل مقولات إنسانية مفهومة ؛ فالإنسان كائن متناهي وكائن محدود ، إلىٰ جانب أنه حامل للخطيئة ؛ فكيف لذلك الكائن أن يقدم لنا حلاً ؟ وليس من حل عقلي لأن الوجود ذاته لا معقول ، ولا يمكن أن يوضع في قوالب عقلية منطقية ؛ فهناك الكثير من الوجود يتصف بالمفارقة ، وهي لحظة اللاعقل ولذا يظل الوجود بمنأىٰ عن كل ما هو عقلي."[٢]

ف" الحل الوحيد لمفارقة الوجود البشري لن يكون إلا بمفارقة أعظم ؛ هي المفارقة المطلقة للمسيحية ، وقبل كل شيء مفارقة التجسد و اللطف الإلهي بالإنسان".(٣) فوحدها قوة الله ، وظهور المسيح الذي مات من أجل الإنسان هو الذي يمكن الإنسان من أن يتخلص من فساده ، ويقدم الخلاص لأولئك الذين قبلوا المسيح. يقول جوليفيه :" إذا صح إذن أن المسلك الديني وحده ، وعلىٰ وجه الدقة المسلك المسيحي بكل ما يقتضيه من قلق وتمزق هو الذي يتفق مع الحياة الحقيقية للإنسان ؛ فإنه يلزم عن ذلك أن الوجودية المتسقة الوفية لكل مقتضيات الوجود الحق لا يمكن إلا أن تكون وجودية مسيحية ، أو بتعبير آخر ـ لكي نتحاشىٰ التجريد ـ لا يمكن إلا أن تكون وجوداً مركزاً علىٰ أن يصير الإنسان مسيحيًا ".[٤]

---

[١] الوجودية ماكوري .٣١٢ وانظر ص ٢٤٦. في الفكر الحديث والمعاصر، ٩٦، ١٠١، ١٠٢.

[٢] فلسفة الدين عند كيركجارد حسن يوسف ٥٣. مكتبة دار الكلمة القاهرة ٢٠١٦.

[٣]الوجودية ،ماكوري .٣١٢ في الفكر الحديث والمعاصر، ٩٦، ١٠١، ١٠٢.

[٤] المذاهب الوجودية ٣٥.

فـ" الفلسفة كما يقرها كيركجور تؤول إلىٰ إعداد للحياة المسيحية ، أو بعبارة أدق وعي معاش لمقتضيات الكلية في المسيحية ؛ أعني جهد متواصل نحو تحقيق الذات طبقـًا للمثل الأعلىٰ المسيحي بحيث يصبح في الوقت نفسه وعيـًا بهذا الجهد وهذا التقدم نتيجة ـ إذا شئنا ـ لمعرفة لا تكون مغايرة لوجود الذات باعتبارها مسيحية".(١)لأن " المسيحية حين تحقق وحدة الأضداد هي القمة التي يصل إليها الجدل ".(٢)

(١) المذاهب الوجودية ٣٤.

(٢) جدل الإنسان٣٨ في المسيحية " المرء لا يحصل علىٰ ما يرغب إلا عن طريق ضده، وبواسطة الخطيئة وحدها يستطيع المرء أن يجد الغبطة ، والمسيحية كلها جدلية بمعنىٰ أن الإيجابي لا نستطيع أن نصل إليه إلا من خلال السلبي ،والحياة المسيحية هي حياة مرت بالموت ؛ فالروح تقتل لكي تعيش و(من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجل الانجيل فهو يخلصها) (مرقص :٨)وذلك الذي يتعذب هو الذي لم يتعذب بعمق بما فيه الكفاية فلابد أن نتعذب بالموت لكي نحصل علىٰ الدواء ، لكي نحصل علىٰ هبة الروح ، والتقاء الأضداد والمفارقات والصراع والتوتر وازدواج الدلالة ..إلخ هي كلها موجودة في المسيحية بشكل يفوق الحصر حتىٰ أن كيركجورد يذهب في النهاية إلىٰ أن كل ما هو مسيحي يحمل في جوفه عنصراً جدليـًا فكل شيء يحتوي علىٰ مفارقة إو التقاء ضدين (من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع) لوقا ١٨: ١٤) و(كل من له يعطىٰ فيزدد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه) (متىٰ ٢٥: ٣٠)والمعجزة ليست هي الله المنتصر لكنها الله في ضعفه الله يتعذب ،الله المتألم جدل الإنسان ٦٢.وانظر كيركجور ج٢ / ٤٢٥.

الفصل الثاني
تقويم ونقد فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني)

المبحث الأول :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد الفلسفي.

المبحث الثاني :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد النفسي .

المبحث الثالث :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد الديني .

الفصل الثاني :

تقويم ونقد فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني)

وبعد هذه الجولة التي قطعناها مع الفيلسوف الدنماركي سروين كيركجور في تحليله(للقلق الإنساني) وبيانه لمفهومه وأنواعه وبواعثه وعلاجه آن وقت تقييم ونقد هذه الفلسفة ، وبيان مدىٰ قيمتها وجدواها في مواجهة مشكلة (القلق الإنساني).

هل استطاع كيركجور أن يصور لنا شعور (القلق الإنساني) ويضع له مفهومـًا يعبر عن حقيقته ؟ ما مدىٰ مصداقية فلسفته فيما رصدته للقلق الإنساني من أنواع، وما حددته له من مراحل ؟ ما قيمة هذه الفلسفة من الناحية العلاجية؟هل استطاع كيركجور أن يحلل هذا الداء ويصف له الدواء ؟ هل استطاع كيركجور أن يكون بفلسفته كهفـًا يلتجئ إليه الإنسان القلق فيمنحه الطمأنية ويجيبه عن كل ما يدور بخلده من أسئلة و استفهامات؟

إن شعور القلق شعور سيكولوجي ؛ ولكن كيركجور حلله تحليلاً فلسفيـًا سيكولوجيـًا، وخلع عليه دلالات لاهوتية ؛ ومن هنا فإن التقييم الموضوعي لفكر كيركجور في القلق يحتم علينا عرضه علىٰ عدة موازين ؛ الفلسفي والنفسي والديني، وذلك سيكون من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد الفلسفي

نقصد بميزان النقد الفلسفي تقييم آراء كيركجور ونقدها في ضوء المبادئ العامة لفلسفة كيركجور نفسه أولاً ، ومدىٰ التزامه بهذه المبادئ أو عدم التزامه بها في تناوله لمشكلة القلق الإنساني ، وتقييمها ونقدها ثانياً في ضوء مبادئ المذاهب الفلسفية الأخرىٰ بصفة عامة ، ومدىٰ قيمة المبادئ التي أقام عليها كيركجور تصوره للقلق في مواجهة مبادئ الفلسفات الأخرىٰ.

إن كيركجور فيلسوف وجودي ؛ والوجودي الحق كما قرر المؤرخون هو ذاك الذي يستمد فلسفته من حياته ، وكيركجور نفسه قد أعلنها صريحة واضحة : " مؤلفاتي كلها تدور حول نفسي...حول نفسي وحدها ولا شئ سواها ، إن إنتاجي كله ليس سوىٰ تربيتي لنفسي ".(١)

فهل كانت فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) مستمدة من حياته؟ هل دارت حول نفسه وحدها ولا شيء سواها ؟ هل اقتصر كيركجور في تناوله لمشكلة القلق علىٰ استخراج ما في تجاربه الذاتية من معانٍ ولم يحاول أن يقدم لنا تحليلات أنطولوجية عامة عن القلق، بحيث يمكننا النظر إلىٰ القلق كما قدمه كيركجور باعتباره (قلق كيركجور) بصفة خاصة ؟ وإذا كان كذلك فما قيمة هذه الفلسفة الكيركجورية الذاتية في الحقل الفلسفي العام ؟

إذا كان الوجودي الحق هو الذي يستمد فلسفته من حياته ؛ فكيركجور من هذه الناحية وجودي من الطراز الأول؛ فقد استطاع ـ بصفة عامة ـ كما قرر

---

(١) نقلاً عن المذاهب الوجودية ٢٩ وانظر : جدل الإنسان ص١١ .

المؤرخون لفكره " أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته " (١)، " إن فلسفته هي ذاته تمامًا، وأكثر من ذلك أنها لم تكن كذلك عفواً...ولكنها ذاته علىٰ نحو إرادي يجري علىٰ نسق".[٢]

لقد كان يعتمد في صياغة نظرياته الفلسفية علىٰ تأملاته الذاتية ، واستبطانه لنفسه وما يستشعره بداخله من خلجات وأحاسيس ، وهو في كثير من الأحيان يعتمد علىٰ(المنولوج) أو الحوار الذاتي الذي يجريه مع نفسه ثم يصبه علىٰ الورق.[٣]

ونحن نرىٰ مصداق ذلك في فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) بصفة خاصة ؛ فتصوره للقلق لم يفترضه افتراضـاً ، ولـم يخلقه خلقـًا، ولـم يكن تصوراً مجرداً خياليـًا ؛ بل كان تصوراً نابعـًا من تجربة قلق عاشها بكل أبعادها؛ لقد "عانىٰ حقـًا من شعور بالقلق عظيم كالمحيط "،[٤] وجاءت تصوراته وتحليلاته للقلق كترجمة صادقة وصورة معبرة عن هذه التجربة التي عاناها .

---

(١) الفلسفة الوجودية ٣١وانظر المرجع نفسه ٣٠، سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ص٧.

(٢) المذاهب الوجودية ص٢٨ وانظر:فلاسفة وجوديون ص١٢، أعلام الفكر الفلسفي المعاصرص:١٧٣،جدل العقل والوجود ص ٢٧٨ ، ٣١٥ ، سورين كيركجورد ، د/ فوزية أسعد ص ٧ .

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح،ج١/ ٥٠ وانظر : كيركيغارد، بيار مسنار ص ١٩.

(٤) سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ١٧.وانظر : فلسفة الدين عند كيركجارد ص٩ ،١٠ .

و" بالرغم من أن كيركجور لا يشير في كتابه (مفهوم القلق) في أي موضع لتجربته الخاصة ؛ بل يطبق ما يطلق عليه اصطلاحا تعبير (ملاحظة تجريبية عن الآخرين) ؛ فإن الإنسان يشعر دون شك أن الشخص الذي يتكلم لهو علىٰ علاقة صميمة بتجربته الخاصة مع وجود أسرار القلق" .(١)

إن جميع الأسس التي أقام عليها كيركجور تصوره للقلق الإنساني وأنواعه وعلاجه في هذا الكتاب وكتبه الأخرىٰ نراها في شخصيته وحياته وعقيدته صريحة واضحة نستطيع تلمسها كما يلي:

أولاً : ربط كيركجور القلق بالخطيئة ـ كما بينا ـ حتىٰ أنه وضع لكتاب مفهوم القلق عنوانـًا جانبيـًا هو (دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية) ؛ ونحن إذا راجعنا الأسباب التي عزا إليها المؤرخون قلق كيركجور الشخصي لعلمنا أن السبب الرئيس لقلقه هو الشعور بالخطيئة والإثم ؛ وهو شعور ورثه عن أبيه وذكته عقيدته المسيحية البروتستانتية ؛ فقد ولد كيركجور من أب كان قد بلغ من الكبر عتيا ، وأثقلت ضميره خطايا وآثام عديدة (٢)،

---

(١)كيركجرد ، فريتوف برانت ٨٢.

(٢) تذكر المصادر أن ميخائيل كيركجور الأب وهو في الثانية عشرة من عمره كان يرعىٰ الخراف في الأراضي الجدبة ،ويعاني آلامـًا مبرحة من الجوع والبرد والوحدة ، فصعد علىٰ صخرة ،وأخذ يسب الإله الذي يترك طفلاً في العذاب دون أن ينجده ، ولكن سرعان ما وافته النجدة من قبل خال ثري يتجر في الأقمشة بكوبنهاجن ، فغادر ميخائيل خرافه وذهب ليعمل مع خاله وينعم بنعيمه ، لكنه لم ينس قط أنه يئس من رحمة الله وأنكر دينه وربه ، لقد نسي الفقر والجوع ؛ولكنه لم ينس خطيئته ، ولبث يعيش في خشية وارتعاد منتظراً العقاب الإلهي وهو يتساءل : هل وافته هذه النعمة رحمة من الله لحرمانه وعذابه ؟ هل هناك جريمة بلا عقاب؟ تسربت هذه الفكرة إلىٰ نفسه ،وأورثته

وكان الشعور الديني عنده عارمـًا قويـًا ؛ فلا يغفر لنفسه الهفوات الهينات مما أورثه قلقـًا شديداً ؛ فكان يخشىٰ العقاب حتىٰ يكاد يستدره ،(١) كما بلغ به هذا الشعور الديني مبلغـًا كبيراً من الهوس والحمق لدرجة أنه استبدت به شهوة هائلة إلىٰ الاعتراف بخطاياه وآثامه ؛ فكان يتحدث إلىٰ طفله البرئ(سروين) حديثـًا متصلاً عن الخطيئة والتكفير والندم ؛ بل أفصح له وهو مازال صبيـًا عن مضمون الرسالة المؤلمة التي عليه أن يحملها ، والتي تتلخص في أنه لابد أن يناله العقاب علىٰ ما اقترفه والده في حق الله ، وهو ما يعني أن يعاقب الابن

=

قلقـًا شديداً ؛ ذلك القلق الناجم عن ارتكاب الجريمة ؛فيخشىٰ العقاب حتىٰ يكاد يستدره" . كما "يبدو أنه تحت وطأة الهواجس والقلق الديني الحاد اندفع إبان مقامه في كوبنهجن في إفراط جنسي شديد أثار فيه قلقـًا عصابيـًا ؛فكان الشعور بالإثم يدفعه إلىٰ إثم آخر طلبـًا للتكفير والعقاب، فيقع فيما يسميه فرويد جرائم العقاب الذاتي ،وكان سقوطه الجنسي وإسرافه فيه عاملاً هامـًا في ازدياد القلق العصابي ومضاعفته ، ويعتقد الباحثون أن هذا هو السبب في أنه تزوج في سن متأخرة ،إذ تزوج لأول مرة في السابعة والثلاثين من عمره ، وقد توفيت زوجته الأولىٰ بعد حياة زوجية سعيدة دامت سنتين دون أن تنجب،وكانت(آن) والدة سروين فتاة تخدم في منزله أثناء حياة زوجته الأولىٰ ،ويبدو أنه اغتصبها في حياة زوجته الأولىٰ ؛إذ أنجبت منه أول طفل بعد خمسة أشهر فقط من الزواج ،انظر:سورين كيركجور، د/ فوزية أسعد ص٧ وما يليها، دراسات في الفلسفة الوجودية ص٢٧وما يليها ، سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ص١١ ،كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٧٧، ٧٨. الفلسفة المعاصرة ١٣٢وما يليها ،كيركجارد د/ علىٰ عبد المعطي ص ٣٥

(١) انظر: سورين كيركجور د/ فوزية أسعد ص٨،فلسفة الدين عند كيركجارد ١٢ .

علىٰ جريمة أبيه ،(١) لقد " أثر الأب في الابن تأثيراً عميقـًا ...فقد نفذت كآبة قلبه إلىٰ روح الطفل ، تلك الكآبة كما هو واضح كانت وليدة القلق والشعور بالإثم ".(٢)

يقول كيركجور: " يا أرحم الراحمين كم أخطأ أبي في حقي ؛ أجل لقد اقترف في حقي خطأ مروعـًا بكآبته ، شيخ طاعن يحمل طفلاً مسكينـًا كل كآبته "(٣)،" لقد كتب علىٰ هذه الأسرة أن تحمل علىٰ كاهلها خطيئة ، وأن يسلط عليها عقاب من الله".(٤) " آه ! لماذا كانت تسعة أشهر في بطن أمي كفيلة بأن تجعل مني رجلاً عجوزاً ؟ لماذا لم أولد في النعيم ؟ ولماذا ولدت لا في الألم وحسب، بل وللألم ؟ ولماذا تفتحت عيناي لا لترىٰ الهناء ، بل لتغوص في دنيا الزفرات وحدها دون أن أملك الخلاص منها" .(٥)

وبالإضافة إلىٰ ذلك فإن الأب تعهد بتربية سروين علىٰ طريقة المسيحية البروتستانتية بصفة خاصة ؛ تلك المسيحية التي تتسم بالطابع الدرامي العنيف ، وتجعل الواجب والنقاوة أمراً مقدسـًا ، وتنظر إلىٰ الخطيئة علىٰ أنها حمل ثقيل مروع فيخشاها وينوء بثقلها طوال حياته؛ بل كان الأب يتخير الجوانب

(١) انظر : فلسفة الدين عند كيركجارد ص٩.

(٢) سورين كيركجورد أبو الوجودية د/ فوزية أسعد ص١١. وانظر : كيركجرد فريتوف برنت ص: ٧

(٣) نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٣٠١.

(٤) نقلاً عن كيركجور إمام ج١/ حياته وأعماله ٢٩٩.

(٥) مذنب أوغير مذنب كيركجور نقلا عن دراسات في الفلسفة الوجودية ٣٩.وانظر معنىٰ الوجودية ص ٨.

القاتمة الباعثة علىٰ الخوف والقلق داخل المسيحية ذاتها(١)؛ فالمسيحية التي عرفها كيركجور هي المسيحية الكئيبة المظلمة التي تركز باستمرار علىٰ العذاب والألم والمعاناة ؛ فقد احتلت صورة المسيح وهو علىٰ الصليب مركز أفكاره في فترة مبكرة جداً ، وكان لاهوت أبيه هو لاهوت المسيح المضرح بالدماء ".(٢) فـ " نشأ الابن منذ صغره علىٰ مسيحية مليئة بالخطيئة والتكفير عن الخطيئة ، مسيحية مرعبة وقلقة ".(٣)

---

(١)الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة د/ محمد غلاب ٢٥، كيركجارد د/ علىٰ عبد المعطي محمد ص ٣٥، جدل العقل والوجود ٢٧٢ ، سورين كيركجورد، د/ فوزية أسعد ١٠:" ساهم اللاهوت البروتستانتي في بلورة اللاهوت الوجودي أكثر من اللاهوت الكاثوليكي ، وذلك منذ أن ربط لوثر بين الحقيقة الدينية والإيمان الشخصي في اللحظة وليس في التاريخ ؛ فالإيمان علاقة رأسية بين الله والإنسان ، وليس علاقة أفقية بين المسيح والكنيسة؛فالإيمان شخصي وليس تاريخياً، والوحي في الكتاب وليس في التراث الكنسي ويتم الخلاص بالإيمان وحده(التقوىٰ الباطنية) وليس بالأعمال (أفعال الشريعة والمظاهر الخارجية)" الوجودية الدينية ص١١ .

(٢) لم تشتمل رؤية كيركجور للمسيحية التي علمها لها أبوه علىٰ أي شيء من سطوع المسيحية الباسمة يقول كيركجور (لا يخلق بنا اطلاع الصبيان علىٰ المسيحية الكاملة ؛ فالطفل لا يحتاج في أول العهد إلا إلىٰ عذوبتها ، وروحها المحبة وجوها السماوي فهو يعيش مع الطفل يسوع والملائكة والثلاثة القديسين الملوك وهو يرىٰ الأنجم في الليل البهيم ويقوم بالرحلة الطويلة الممتعة إلىٰ بيت لحم " هذه هي الوجودية ١٤٢. وانظر لوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ٢٥.

(٣) فلسفة الدين عند كيركجارد ١٤. سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ص ١٢ كيركيغارد بيار مسنارص٦.

" كتب كيركجور في مؤلفه (وجهة نظر تأليفي)علىٰ شكل سيرة ذاتية:(وأنا طفل تربيت علىٰ المسيحية بصرامة وشدة ، وإذا جاز لي أن أعبر عن نفسي بإنسانية لقلت إنني تربيت علىٰ نحو جنوني)".(١)" لقد ملأ أبي نفسي بالقلق؛ بالقلق أمام المسيحية ".(٢)

وإذا كان والده بخطيئته ، والمسيحية البروتستانتية بنظرتها المتشددة إلىٰ الخطيئة سببًا فيما أصاب كيركجور من قلق ديني ، فقد كانا أيضًا سببًا لما عاناه من قلق عاطفي؛ فقد ترك كيركجور محبوبته رجينا أولسن (٣) وفسخ خطوبته منها بسبب ما حمله من وزر أبيه ورغبته في الرهبنة ؛ لقد " تسلطت عليه فكرة الخطيئة ...وظن أنه يضحي بريجينا من أجل هدف أسمىٰ هو التكفير عن الخطيئة "(٤) يقول كيركجور:"هل يحق لإنسان كئيب مثله يكتم سراً رهيبًا كسر أبيه ،ويحمل عبء رسالة إلهية أن يتزوج بفتاة بريئة طاهرة نقية صافية الضمير كماء النبع؟!"(٥) لقد " أحس بأن زواجه منها إنما يخالف رسالته في الحياة كرجل رغب في التكفير عن خطيئته الأصلية ، كما أنه كان يود

(١) كيركجرد فريتوف برانت ص٧.

(٢) نقلاً عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١ / ٣٠١ .

(٣) ريجينا أولسن فتاة أحبها كيركجور كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وكانت ابنة لأحد مستشاري الدولة . انظر في سرد قصة حب كيركجور لها : كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ١١٦وما يليها ، سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ١٥ ، دراسات في الفلسفة الوجودية ٣٨.

(٤) الفلسفة المعاصرة ١٣٥، ١٣٦ .

(٥) سورين كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ١٦ . وانظر :دراسات في الفلسفة الوجودية :٤٢ .

الاقتداء بالمسيح الذي مات علىٰ الصليب في سبيل الإنسانية".[1]

" لقد تمزق بين حبه لربه تعالىٰ وحبه لخطيبته ريجين ، بين الشك واليقين فهو يدرك من ناحية أن الشوكة في الجسد قد أصابته لكي يثب إلىٰ مرحلة لم يرق إليها قبله إنسان ؛ لكي يسمو إلىٰ حياة روحية وحب مطلق".[2]

من خلال ما سبق نؤكد أن كيركجور" قد عالج مشكلة القلق من وجهة النظر الخاصة بحياته كلها؛ أي من وجهة نظر الإثم".[3] يقول الدكتور إمام عبد الفتاح:" في استطاعتنا أن نقول إن جميع التجارب التي مر بها كيركجور طوال سنوات تربيته ، أو في سنوات الضياع قد حاول فيما بعد أن يصوغها في كتبه لاسيما في كتابه (مفهوم القلق) ، فها هنا تجميع منظم لكثير من التصورات الأولىٰ، وهكذا تتضح الفصول التي قد تبدو غريبة علىٰ القارئ الذي لا يعرف شيئـًا عن تجاربه الأولىٰ ، فنحن نجد مثلاً فصلاً بعنوان (القلق بوصفه الافتراض السابق للخطيئة الأصلية)،(القلق بوصفه نتيجة للخطيئة الأصلية)،(القلق بوصفه نتيجة لتلك الخطيئة التي تعتمد علىٰ الافتقار إلىٰ الوعي بالخطيئة)، وقد يبدو تعبير الخطيئة الأصلية غريبـًا في السياقات المختلفة ، لكنا إذا ما تذكرنا أن الخطيئة الأصلية في اللغة الدنماركية تعني الخطيئة الموروثة ؛ استطعنا أن نفهم أن كيركجور كان يقصد ما يمكن أن يرثه الأبناء عن آبائهم من أخطاء وآثام، وأنه كان يضع في ذهنه في نهاية الأمر ما ورثه هو شخصيـًا عن والده " .(٤)

---

(١) معنىٰ الوجودية ص ٧.

(٢) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد١٨.

(٣) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ص٩٩.

(٤) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / فلسفته ص ٣٤٠، ٣٤١.

ثانيـًا : صور كيركجور القلق باعتباره انعكاسـًا لصراع ينشب داخل الذات بين مكوناتها المتناقضة(المتناهي واللامتناهي، الجسم والروح) ؛ ولا شك أنه في هذا التصوير أيضـًا كان يصور جانبـًا كبيراً من قلقه الشخصي ،ونتيجة حتمية من نتائج عقيدته المسيحية في دعوتها للرهبنة .

إن جانبـًا كبيراً من كآبة كيركجور وقلقه الشخصي يرجع إلىٰ ما كان يستشعره داخل نفسه من تناقض وتنافر وصراع حاد بين جسده وروحه (١)؛حيث كان كيركجور من الناحية الجسدية بشع المنظر ، قميء القامة ، ذا صوت نشاز كأنه نعيب الغراب ، يقف علىٰ ساقين نحيلتين إحداهما أقصر من الأخرىٰ ، يبدو عموده الفقري كأنه مكسور ، وقد أحدث له هذا الجسد المشوه متاعب لا حصر لها .(٢)

---

(١)كيركجور إمام عبد الفتاح ج١ ٦٠ بتصرف .

(٢) سورين كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ١٧.كيركجور د/إمام عبد الفتاح ج١ /٥٨.فريتوف برانت ١١٤ الحب في فكر سروين٨ . دراسات في الفلسفة الوجودية ٣٢، الفلسفة المعاصرة ١٣٧" فلسفة الدين في فكر كيركجارد ١٥.يذكر لوري أن هذا التقوس كان يسبب له متاعب بين الحين والآخر ويضعه في مواقف بالغة الحرج ؛ فكثيراً ما كان يسقط خائراً علىٰ أرض الغرفة دون أن يستطيع النهوض بسهولة ، ولهذا فقد كان يكره كراهية شديدة أن يشاهد أحد هذا المنظر ، فإذا ما حدث رغمـًا عنه أمام أحد فإنه كان يسارع بإنهاء الموقف بدعابة مؤلمة ، حدث ذات يوم أن سقط من فوق أريكة ، وحين هم أصدقاؤه لمساعدته علىٰ النهوض قال لهم في دعابة مرة:" دعوا ما سقط كما هو حتىٰ الصباح إلىٰ أن يأتي الخادم فيكنسه "ويقول أحد أصدقائه (لقد كان للمشي معه في الشارع متاعب جمة بسبب عدم انتظام حركاته الذي يرجع بالطبع إلىٰ تقوس عموده الفقري .

أما من الناحية الروحية (الذهنية) فقد كان يتمتع بطاقة هائلة ؛ فروحه كانت حية ظافرة جياشة ، مليئة بالحركة والنشاط ؛ لقد " كان صعب المراس،ساخر المزاج ، حاد الذكاء، لازع التهكم ، ذا خيال عجيب وعبقرية ساحرة ".(١) "وهو يصف هذين الجانبين في شخصيته منذ الطفولة فيقول : كنت رقيقـًا نحيفـًا ضعيفـًا ، محرومـًا تقريبـًا من كل الشروط المطلوبة لكي أمارس حياة عادية مع غيري من الأطفال، أو حتىٰ لكي أنشأ كرجل مكتمل إذا ما قورن بغيره من الناس، سوداوي المزاج ، بائسـًا بأعمق معنىٰ للكلمة ، لكن هناك شيئـًا واحداً كنت أملكه ؛ ذهن لماح منح لي مقدمـًا حتىٰ لا أكون عاجزاً عن الدفاع عن نفسي ، وحتىٰ في طفولتي كنت أعي قدرتي علىٰ حضور الذهن ، وأعرف أنها ملجئي وملاذي في صراعي مع الآخرين الذين يفوقونني قوة ".(٢)

بل تنص المصادر علىٰ أن كيركجور" كانت شخصيته أشبه بهذا القلق المؤنس أو القلق اللذيذ الذي تحدث عنه...والذي يخافه المرء ويحبه في وقت واحد ، يريده ويخشاه في آن معـًا ، كذلك كان كيركجور يستدنىٰ ويستبعد

---

(١) كيركجور إمام عبد الفتاح ج/ ١ ص٥٨ وانظر هذه هي الوجودية ١٤٢ .

(٢) ويقول:" لقد أنجزت شيئـًا عظيمـًا سوف يعجب منه الناس لفترة طويلة فقد كانت لي مواهب شاذة خارقة للعادة ؛ إن ما ينقصني وما أحتاج إليه هو تلك الخصائص الحيوانية حين نتحدث عن واحد من الرجال .." ،" أنا أشبه ما أكون بسفينة تحمل محركـًا أقوىٰ بكثير من بنيتها " ،" حالتي الذهنية سليمة تمامـًا من الناحية الصحية ، وهي لهذا تشتاق إلىٰ إطراح ضعف الجسد تمامـًا كما يشتاق المريض إلىٰ تمزيق الأربطة فأنا مثلي مثل القائد المنتصر والذي قتل جواده في الحرب ويريد حصانـًا جديداً .آه هذه الصحة الظافرة لذهني كم تشتهي حصانـًا جديداً أعني جسداً آخر"

في آن معـًا ".(١)

كذلك فإن عقيدة كيركجور المسيحية بدعوتها للرهبانية والارتفاع بالحياة عن نوازع الجسد وغرائزه المادية تثير الصراع والتوتر بين جانبي الإنسان المادي والروحي .

ثالثـًا :ربط كيركجور القلق بسيكولوجيا الحرية ، وجعل وجود الذات في صيرورة مستمرة حتىٰ الموت ، وهو يحدثنا في يومياته عن حياته قائلاً : " إن الذي جعل من حياتي اكتشافـًا متصلاً هو أنني لم أكن مرغمـًا من الناحية الزمنية علىٰ القيام بعمل ما ؛ وإنما كان علي دائمـًا وفي كل لحظة أن أختار ، وأن أقرر السبيل الذي يجب علي أن أسلكه ".[٢] وجميع المراحل التي رسمها كيركجور للذات في صيرورتها لتحقيق وجودها الأصيل بجميع أنواع القلق التي تعانيها إنما هي في حقيقة الأمر-كما قرر كثير من المؤرخين- صورة دقيقة لمراحل حياة كيركجور نفسه وما عاناه فيها من ألوان القلق ؛ فحديث كيركجور عن تلك المراحل وأنواع القلق إنما هو حديث عن خبرات عاشها(٣) و" كلمات فيجليوس هوفنيسس هي دون شك مطابقة لوجهة نظر

---

[١] جدل الإنسان ص١٢ باختصار كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ١/ ٥٩ ، وانظر الحب في فكر سروين٨.

[٢] فلاسفة وجوديون ٢٠.

[٣] انظر : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ٦٤ . تذكر المصادر أن كيركجور عاش بين سنتي ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨م حياة سطحية مضطربة كان شغوفـًا بالمسرح ولعـًا بالمقهىٰ ..الوجود كان يطرح في ذاك الحين أكثر ما يطرح علىٰ المستوىٰ الجمالي . يقول كيركجور:" لقد ذقت الفاكهة من شجرة المعرفة واستمتعت بمذاقها غير أن هذه اللذة لم تمكث إلا لحظة المعرفة فحسب ثم تمضي دون أن تخلف بصماتها العميقة داخل

كيركجور، إن تطوره يتحرك في اتجاه الروح الخالصة؛ ولكن تحت هذا التطور يمكن استخلاص علامات التركيز الدقيق في حياته الشخصية " .(١)

يقول الدكتور فؤاد كامل : " لكيركجور نظرية في مدارج الحياة أو مراحلها الروحية ، وهذه النظرية تترجم عن التطور الروحي لكيركجور نفسه ...ففي شبابه سلك حياة المتعة والاستمتاع بملذات الحياة ، ولكنه عندما سئم هذه الحياة حاول أن يسير في طريق الواجب وأن يحيا حياة محترمة بالزواج ، ولكنه بعد أن فسخ خطوبته كرس جهوده كلها للحياة الدينية وأوشك علىٰ التصوف ".(٢)

هكذا يتأكد للقارئ أن جميع تصورات وتحليلات كيركجور للقلق إنما هي تصورات وتحليلات لقلقه الشخصي ؛ فلم يكن مع كيركجور وهو يعالج مشكلة القلق الإنساني سوىٰ تجربته الشخصية مع القلق يتطلع إليها في المرآة ، وكيركجور نفسه كان قد أكد في بداية كتابه (مفهوم القلق) علىٰ أن القلق شعور جزئي وفردي ؛ يقول كيركجور : " القلق وكذلك الخطيئة ليس تصوراً جامداً ساكناً، أو أنه ليس تصوراً علىٰ الإطلاق ، إذ من أخص خصائص

= نفسي ،وإنه ليبدو لي أنني لم أشرب من كأس الحكمة ؛ لكني سقطت في هذه الكأس"و "يذكر كيركجور في يومياته عن شيء يشبه الانتقال من المرحلة الجمالية إلىٰ المرحلة الأخلاقية:(في بحر من الملذات ليس له قرار، وفي هاوية المعرفة فتشت عبثاً عن نقطة ألقي فيها بمرساتي" كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٨٧. كيركيجرد فريتوف برانت ١٥ .

(١) كيركجرد ، فيرتوف برانت ٨٦.

(٢) أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٨١ .

التصور أن يكون عاماً؛ في حين أن القلق جزئي وفردي وشخصي تماماً ". [1]

وبذلك يكون كيركجور قد "حيَّ حياته وأحال تجاربها إلىٰ أفكار نابضة ".([2]) فاستحق فعلاً أن يصير أباً للوجودية .

ولكن إذا كان كيركجور من جانب قد عبر بفلسفته في القلق أصدق تعبير عن حياته وما عاناه من قلق فكان بذلك متوافقاً مع مبدأ الذاتية الذي انطلق فكره منه ؛ فإنه قد عارض نفسه من جانب آخر في المبدأ نفسه ؛ فمن منطلق مبدأ الذاتية نفسه كان كيركجور قد أعلن أنه يرفض كل جهد يرمي إلىٰ إيجاد الحقيقة داخل مفاهيم عامة وتصورات مجردة ، مؤكداً أن الوجود الحقيقي بما يحمله من عناصر الذاتية والتناقض والوجدانية ينفر من النسق الفلسفي ويتمرد علىٰ كل معرفة ؛ **لأن في النفس أشياء لا يمكن إخراجها أو التعبير عنها".(٣)** لكنه في دراسته للقلق لم يكن مخلصاً إخلاصاً كاملاً لمقتضيات هذا الإعلان؛ فبداية من عنوان كتابه(مفهوم القلق) مروراً بكثير من التحليلات الداخلية نجد في جلاء ضرباً من التجريد والتعميم ؛ حتىٰ قرر كثير من المؤرخين أن كيركجور قد " انتقل إلىٰ صعيد المفهوم والمذهب بكل ما يقتضيه هذا الانتقال من تجريد وعمومية ".(٤)

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٣٤ .

(٢) دراسات في الفلسفة الوجودية ٢٧:"

(٣) نقلاً عن المذاهب الوجودية ٢٩.وانظر: جدل الإنسان ص١١،بين سارتر وبرجسون أزمة الحرية ٥٧ ، فلسفة جان بول سارتر ٣٦،فلاسفة وجوديون ص٧.يقول كيركجور :" أما فيما يختص بالمدركات الوجودية فالرغبة في تجنب التعريفات والتحديدات برهان علىٰ اللباقة " نقلا عن هذه هي الوجودية ٤٦ .

(٤) المذاهب الوجودية٤٥ .

لقد رفض كيركجور بداية ما يمكن تسميته بـ (طبيعة إنسانية عامة) مؤكداً علىٰ أن الوجود الإنساني والحرية واحد لا ينفصم ، وأن كل إنسان محصور في قطيعة أنطولوجية ، جاعلاً من هذه القطيعة وتلك الحرية الباعث الرئيس لشعور القلق الإنساني ؛ ومع ذلك نلاحظ في فلسفة كيركجور للقلق تصوراً لطبيعة بشرية عامة ، بل وفرضًا لمثل أعلىٰ ينبغي احتذاؤه ؛ فقد حدد كيركجور عوامل تتألف منها الذات البشرية ؛ وميز بين وجود إنساني زائف وآخر أصيل ، بل ورسم للذات طريقًا تتدرج فيه لتصل للوجود الحقيقي ، معتبراً من المسيحية الوجودية الحقة ، وجاعلاً من المسيح محنة ونموذجًا ينبغي احتذاؤه في آن معًا ، وهذا كما هو واضح وكما أكد المؤرخون تناقض كامل للب الوجودية .

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي ناقداً كيركجور ومعه نيتشه من هذا المنطلق:" سار كيركجور ونتشه إلىٰ توكيد الذات المفردة ، لكنهما لم ينتهيا في الواقع إلىٰ توكيد الذات المفردة بالمعنىٰ الوجودي الخالص ، نظراً إلىٰ تأثر كليهما بنزعات غير وجودية ، فالأول سادت تفكيره نزعة دينية ، فكان من شأن هذا أن ربط فكرة الذات المفردة بفكرة الوحدة التنسكية ؛ فكرة القديس والمتأله ، مما جعل نظرته مشوبة بصبغة تقويمية ظاهرة منذ البداية " .(١)

كما يقول اميل بترو في كتابه الحياة الكريمة: " يزعم الوجودي عدم وجود شيء نستطيع تسميته بالطبيعة البشرية ؛ وأن الإنسان يخلق ماهيته اعتماداً علىٰ أفعاله، ولكن مثل هذا الزعم يتعارض والادعاء بتوافر قدرة فطرية عند الإنسان للقيام بالأفعال الحرة ، ومن ثم فلابد أن تكون الحرية جزءاً من طبيعته الأساسية ، وفضلاً عن ذلك فإن الوجودية التأليهية كالتي جاءنا بها كيركجور

---

(١) الزمان الوجودي ١٥٤ .

تجادل بالقول إن هناك غواية تنزلق إليها الكائنات البشرية ". [١]

لذلك يمكننا القول إن كيركجور كان " يريد لفلسفته أن تكون تعبيراً عن وجوده الخاص الذي هو نسيج من المتناقضات ، وأن يستخرج من أعماقه ما يشعر به من ألم وتوتر وعذاب ومعاناة ليكون نظرية عن الإنسان بصفة عامة ، فما يعانيه من قلق ويأس وشعور بالخطيئة ومرض نفسي ليس حالة خاصة به وحده ؛ لكنها تمثل عوامل تتألف منها الذات البشرية ".(٢) و" إذا كان كيركجور يريد أن يعرف نفسه وأن يصل إلىٰ حقيقة ذاتية ؛ فإنه لا يريد ذلك لنفسه فحسب وإنما يود من الآخرين أن يسلكوا نفس الطريق (ذلك هو الطريق الذي ينبغي علينا جميعـًا أن نسير فيه)".[٣]

إن كيركجور الذي رفض وصاية أي جهة كانت ، أراد أن يجعل من تجربته الشخصية وفكره وعقيدته وصيـًا علىٰ البشرية قاطبة ؛ لقد كان لديه ميل خفي لإقامة مذهب مسيحي ، رغم معارضته الشديدة للمذهب وللنسق الفلسفي بصفة عامة ...ولهذا نجده في كثير من الأحيان يعالج تصورات مجردة ومفاهيم عامة ثم يحاول بعد ذلك أن يربط بينها . يقول كيركجور : (سوء حظي أنني حيثما أوجد لا أنشغل بالجزئي ، لكني أنشغل باستمرار بمبدأ أو بفكرة ، إن الغالبية العظمىٰ من الناس علىٰ أحسن الفروض يفكرون في الفتاة التي ينبغي عليهم أن يتزوجوا منها؛ أما أنا فقد كتب علي التفكير في الزواج من حيث هو زواج،وهكذا في بقية الأشياء)".(٤)

---

[١] الحياة الكريمة ١٤٥.

[٢] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٤٩.

[٣]المصدر السابق ج١/ ٢٤.

[٤] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٥.

" وهكذا تبدو فلسفة الفرد والفريد كأنها خيبة رجاء فيلسوف من أتباع هيجل لا تزال تلح عليه فكرة المعرفة المطلقة ، ويحمل في قلبه الحنين إلىٰ المعرفة في صورة مذهب "[1]

هذه هي قيمة فلسفة كيركجور في ميزان النقد الفلسفي الذاتي ؛ فما قيمتها في ميزان النقد الموضوعي ؛ أعني في الحقل الفلسفي العام ؟

بداية لابد أن نقرر أن آراء كيركجور ستظل دائمًا حائزة لشرف صونها فردانية الإنسان وحريته ضد أخطار قد تحيله إلىٰ مجرد رأس في القطيع بتعبير نيتشه ، كما سيظل لها أيضـًا فضل توجيه الفلسفة للاهتمام بالجانب الوجداني العاطفي من الإنسان بعد إهمال المذاهب العقلية له ؛ فقد كان كيركجور " يريد أن يحل المفكر الذاتي الذي ينشغل بدراسة الصراع والتوتر واليأس والقلق والالتزام والمخاطرة والمسئولية والمقارنة والحياة الجمالية الحسية والخطيئة والإيمان والحياة الأخلاقية والحياة الدينية والعثرة واللامعقول ..إلخ محل المفكر الموضوعي أو الفيلسوف الهيجلي الذي حول الواقع العيني الحي إلىٰ مجموعة هائلة من التصورات العقلية والمفاهيم المجردة ".[2]

وقد كان لتفكير كيركجور أصالته وابتكاره ؛ فظهر كاتجاه مميز بين الاتجاهات الفلسفية ، وتميز بمقولاته وأفكاره الخاصة ؛ فحلل الإنسان تحليلاً وجوديـًا وابتدع اصطلاحات أو مقولات فلسفية جديدة (وجود ، تناقضات الوجود، إمكانية الوجود، مقولات الوجود ، جدل الوجود ، القلق ، اليأس،الاضطراب، التناهي) بل وعبر بدقة رائعة فائقة عن هذه

(1) المذاهب الوجودية ٣٢.

(2) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢٣. فلسفة جان بول سارتر ٣٧.

المصطلحات.[1] **و" ربما كان أهم هذه المقولات التي تميز بها تفكير كيركجور هي مقولة القلق"**[2]؛ فقد كان كيركجور بحق أول من حلل شعور القلق تحليلاً وجوديًا (٣) واستطاع أن يقطع شوطًا بعيداً في هذا التحليل،(٤) وكانت تحليلاته لهذا الشعور بصفة خاصة من أهم الأفكار التي استقاها الوجوديون منه؛ فـ " أصل الأفكار الوجودية عن القلق موجود عند كيركجور".[5] و قد اعترف الوجوديون أنفسهم له بهذا الفضل ؛فقد اعترف هيدجر وسارتر بأنهما أخذا هذا المصطلح منه ؛ يقول هيدجر:(إن من سار إلىٰ أبعد مدىٰ في تحليل مفهوم القلق هو سرن كيركجور).[6]

يقول الدكتور الشاروني : " فكرة القلق من أهم الأفكار التي نجدها عند كيركجور ، وينبغي أن نلاحظ أن أهميتها لا ترجع فحسب لمكانتها الأساسية بين موضوعات فلسفة كيركجور ؛ وإنما كذلك لارتباطها بكثير من الأفكار التي تأثرت بها الفلسفة الألمانية ، والتي انتقل تأثيرها خلال الفلسفة الألمانية إلىٰ الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، وإلىٰ سارتر بوجه خاص" [7]، وقبل ذلك

---

[1] كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٩.

[2] بين برجسون وسارتر ٥٩.

[3] انظر :الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر ٢٥٨،الوجودية ص ٢٣٩،مقالات عن الوجودية (أبو الوجودية) أنيس منصورص ٥٢ دار الجمهورية ، في الفكر الحديث والمعاصر١٣٥. جدل العقل والوجود ٣٤٤. موسوعة لالاند الفلسفية م١/ ٧٠.

[4] فلاسفة وجوِديون ٣١.

[5] الوجودية ،ماكوري ٢٤٠.

[6] انظر:الوجودية ص ٢٣٩، في الفكر الحديث والمعاصر ص١٣٥.

[7] بين برجسون وسارتر ٦٢ . وانظر :فلسفة جان بول سارتر ٣٩.

كان القلق عنصراً من العناصر التي تخلص كيركجور من الهيجلية . (١)

حقـًا إن " التحليلات الكيركجورية مسيحية الجوهر؛ ولكنها أصبحت مسلمات اعتنقها تابعوه من الوجوديين الملحدين والمسيحيين جميعـًا ، ولذا يتعين علينا أن نميز في مواقفه بين ما يعبر عن شخصيته وتفكيره الخاص واتجاهه المسيحي من ناحية ، وما يمكن أن يستخلص منها من أفكار غدت شبه قوانين وجودية إن صح هذا القول من ناحية أخرىٰ ؛ فهو قد عالج مشكلة القلق واليأس من وجهة النظر الخاصة بحياته كلها أي من وجهة نظر الإثم ؛ ولكنه حين تحدث عن القلق واليأس أمام الإثم اكتشف القلق أمام الحرية والعدم ، كما اكتشف اليأس الناجم عن الحرية والعدم ، وهذا ما قال به من بعده كل فيلسوف وجودي بصيغ متباينة ".(٢)

" ورغم غموض فكرة العدم عند كيركجور ، وارتباطها بفكرة الخطيئة الأصلية ؛ إلا أنها كانت في ارتباطها بفكرة القلق مصدراً هامـًا تستوحيه فلسفة هيدجر ؛ لتمضي بفكرة العدم من المجال النفسي الذي اقتصر عليه كيركجور إلىٰ المجال الكوني الوجودي الذي انتهت إليه فلسفة هيدجر ؛ وهو نفس المجال الذي سنجده لفكرة العدم عند سارتر ". (٣)

ومن هنا يمكننا أن نقرر مع د/ إمام عبد الفتاح أن " كيركجور استطاع أن يخلق فلسفة وجودية جديدة فتحت الباب أمام فلسفات أخرىٰ تأثرت بها، وأنه انطلق من الذات البشرية ودرس مكوناتها الأنطلوجية وتطورها وأمراضها

---

(١) انظر : بين برجسون وسارتر ٥٩، ٦٠.

(٢) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ميخائيل ٩٩بتصرف وانظر : فلسفة جون بول سارتر ٣٩، ٤٠.

(٣) بين برجسون وسارتر أزمة الحرية :٦١.

الروحية بحيث تعتبر دراسة متفردة وعميقة لليأس والقلق ".(١)

ولكن إذا كان لكيركجور فضل إعادة الانتباه إلىٰ الذات المفردة والاهتمام بعواطفها وانفعالاتها وخاصة انفعال القلق ، فإن تطرفه في نزعته الذاتية من جانب وفي الاعتماد علىٰ الوجدان والعواطف من جانب آخر جعل فكره عرضة للنقد من كلا الجانبين :

أولاً : تطرف كيركجور في نزعته الذاتية جعلت فكره لا يرقىٰ في نظر بعض المؤرخين لمستوىٰ التفكير الفلسفي ؛ حيث قالوا إننا إذا سلمنا بأنه لا مفر من وجود عامل شخصي في الفلسفة ؛ فإننا لا نتوقع من الفلسفة أن تكون سيرة ذاتية بالدرجة الأولىٰ.(٢) يقول برتراند رسل: " إن الفلسفة الوجودية داخل القارة الأوربية هي في جوانب معينة أمر محير ؛ بل إن من الصعب أحيانـًا أن يرىٰ المرء فيها أي شيء يمكن التعرف عليه بوصفه فلسفة بالمعنىٰ التقليدي "(٣)

ويقول د/ إمام عبد الفتاح :" نحن لا ننكر أن كيركجور كان يعكس في كثير من كتاباته حالاته النفسية المرضية ؛ فكان هناك لون من الخلط الفكري في معالجة الأفكار الميتافيزيقية والدينية والنفسية في وقت واحد . وهو اضطراب يعلله هايكر Haccker بأن(كيركجور كان يفكر في وقت واحد في الشعر وفي الفلسفة وفي علم النفس وفي اللاهوت ! ولقد وصل الارتباك إلىٰ أقصاه عندما

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٥.

(٢) الوجودية ماكوري ٣٦٩ .

(٣) حكمة الغرب برتراند راسل ج٢/ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ترجمة / د/ فؤاد زكريا ٢١٧ .سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت العدد ٧٢، ديسمبر ١٩٨٣ .

اختلط الموضوع بالشخص والجزء بالكل والفكر بالوجود ".(١)

إن " الفلسفة تطالب بما هو أكثر من ذلك ؛ إنها تطالب مهما كان طراز التعبير واللهجة الممتازة بأفكار، وبتفاعل جدل ما بين هذه الأفكار؛ فليس يكفي أن نفرغ مضمون شعور ونعرضه حتىٰ يحظىٰ بمنزلة في مستوىٰ فلسفة وجودية ؛ ولابد من أن ينتظم هذا المضمون علىٰ نحو يجيز تعريف أنماط وجودية مشفوعة كلها بأمثال قيمية تعريفاً دقيقاً أعظم دقة تستطاع ، وستكون فلسفة الوجود أوفىٰ نجاحاً كلما تمكنت من تعريف أنماط أساسية ، وأتاحت إقامة نظام مقارنة ، أو تفضيل، أو تطور حيوي بين تلك الأنماط".[٢]

ومن هنا نقرر أنه إذا كان حديث كيركجور عن القلق لم يخرج عن كونه حديث عن تجربته الذاتية الشخصية مع القلق[٣] ؛ فإن هذا الحديث لا قيمة له إلا بهذا الاعتبار فقط ؛ أعني باعتباره تجربة قلق ذاتية شخصية ولا شيء أكثر من ذلك ؛ ونحن نستطيع أن نضع في مقابل تجربته الذاتية تجارب أخرىٰ قد تناقضها تماماً ، وتتضمن باعتبارها ذاتية هي الأخرىٰ رؤية للقلق مختلفة تمام الاختلاف عن رؤيته. بل إن تجربة كيركجور أقل شأناً وفائدة ؛ إذ إنها تجربة ذاتية صادرة عن شخص مريض غير سوي ، لديه وساوس مرضية ورسوخ لفكرة الذنب بداخله.[٤] وهل سيقدم المريض سوىٰ المرض؟! والكئيب

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٣٥.

(٢) كيركغارد ، بيار مسنار ص: ٢٣.

(٣) الفلسفة الوجودية :ص ٤٤،٤٥.

(٤) انظر :فلسفة الدين عند كيركجارد ص: ٢١. " حاول جيلمر هيلفج إعداد دراسة نفسية كيركجارد من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي ، و قد قرر أن كيركجور كان يعاني من ذهان جنوني كئيب تتخلله فترات من الركود ، إلىٰ جانب نوع من أنواع الضيق الشديد ،

سوىٰ الكآبة؟! والسوداوي سوىٰ السوداوية ؟!

هذا وإن مبدأ الذاتية الذي انطلق منه فكر كيركجور بصفة عامة ورؤيته للقلق بصفة خاصة قد عارضه كثير من المفكرين والفلاسفة منبهين علىٰ أنه " **لو** كان كل إنسان إن هو إلا ما يصنع من نفسه ، وما يصنع من نفسه فحسب ، لما كان ثمة إنسانية ، ولما كان ثمة تاريخ ، ولما كان ثمة تراث بشري ، ولما كانت هناك رابطة جماعية بين البشر ؛ ولكن الإنسانية لحسن الحظ لم تفقد يوماً الإيمان بوحدة النوع البشري ، ولم تعدم بين الفلاسفة من ينادي بوجود طبيعة بشرية تعلو علىٰ فوارق الحضارات والأجناس والسلالات والطبقات والطوائف.ولسنا نزعم أن ثمة طرازاً أولياً قد فرض علىٰ بني البشر جميعاً ؛ فإننا لنعلم أن الشخصية البشرية هي بطبيعتها ما لا يتكرر مرتين لأن كل إنسان منا هو نسيج وحده".[1]

يقول محمد قطب : " لا يكون الإنسان فرداً خالصاً ، ولا يكون أيضاً جزءاً مبهماً في كيان المجموع ؛ إنه يحس بفرديته دون شك ، يحس بحدود كيانه ، يحس بالأنا التي يشتمل عليها ، يحس برغباته الخاصة ، وأشواقه الخاصة ، ومطالبه الخاصة وضروراته الخاصة...ومع ذلك فليس هذا هو كل الإنسان ؛ وإنما هو واحد فقط من جانبي الإنسان ، والجانب الآخر أنه من أعماق فرديته

= ومن سمات هذا النوع أن ينطوي علىٰ نوبات من الهوس والهياج أو من السوداوية (الانقباض) أو كلاهما معاً ، وكيركجور نفسه أوضح أنه كان دوماً عرضة للسوداوية إلىٰ جانب مشاعر الحزن والقلق والشعور بالنقص والأوكلوفوبيا أي الخوف من الآخرين والجمهور، والرغبة في الإنطواء والانعزال وأحياناً الدوافع إلىٰ الانتحار" فلسفة الدين عند كيركجارد ١٦.

(١) مشكلة الإنسان ١٤.

هذه المحددة الواضحة البارزة السمات يهفو إلىٰ الآخرين ؛ يهفو إلىٰ الجنس الآخر بدافع الجنس ، ويهفو إلىٰ الذرية ، ويهفو إلىٰ الأصدقاء ويهفو إلىٰ الزملاء ، بل يهفو كذلك إلىٰ وجود أعداء أو منافسين يصارعهم ويتغلب عليهم ، وكل هذه روابط جماعية ..تعبر عن رغبته في الارتباط بالآخرين بأنواع مختلفة من الرباط ، وهي رغبة أصيلة جداً وعميقة جداً في باطن النفس...لا تمر علىٰ الإنسان لحظة واحدة يكون فيها فرداً خالص الفردية قائمًا بذاته ، ولا تمر عليه لحظة واحدة يكون جزءاً من القطيع غير متميز الكيان ، عملية مستحيلة غير قابلة للتحقيق . في أشد اللحظات فردية يحمل الإنسان في قلبه مشاعر تربطه بالآخرين ، وفي أشد اللحظات جماعية يحس بأنه علىٰ الأقل هو الذي ينفذ رغبة الجماعة بذاته بكيانه الفردي"(١)

حقًا... " إن ماهية أي موجود لا تنحصر فيما قد كانه فقط ، وإنما هي تتجلىٰ أيضًا فيما هو كائنه الآن وما سيكون عليه غداً ؛ ولكن ربما كان درس الحياة الأعظم أن نؤمن بما تنطق به السنون والقرون؛ لا بما تنطق به الدقائق والساعات، إن ماضي البشرية لم يمت ؛ فإن الإنسان تاريخ ، والتاريخ تجمع للماضي في الحاضر، وضغط للحاضر علىٰ المستقبل...فليس عظماء الإنسانية بموتىٰ تحتضنهم أضرحة أو متاحف ؛ وإنما هم شواهد حية ترسم أمامنا الطريق الذي سلكته الإنسانية في سبيل تحررها ".(٢)

تقول الدكتورة يمنىٰ طريف الخولي: " لماذا يتصورون ـ أي الوجوديون ـ أن كل التجاء لعموميات وتجريدات جاهزة فيه مساس بالفرد ؟! والواقع أنه ـ

---

(١) دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب ١٣١ ،دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤١٤ه، ١٩٩٣م .

(٢) مشكلة الإنسان ص ١٦ .

من وجوه كثيرة- فيه إذكاء وسبيل إلىٰ تجربة وجودية أفضل ؛ أليس الوجوديون أشد من سواهم إدراكـًا لتناهي الموجود البشري ومحدوديته ؟ إن حياته قصيرة ، وإمكاناته قاصرة لا تستوعب تقصي كل الأبعاد في كل موقف وصولاً إلىٰ القرار السليم فلماذا لا يستفيد من المبادئ العمومية التي أسفرت عنها تجارب أخرىٰ طويلة عريضة ؟ علىٰ الفور سيرد الوجوديون بأن حرية القرار أهم من سلامته ، لذا يؤخذ عليهم إعلاء التحمس للاختيار المتفرد ، فوق الإنصات لصوت الحكمة الرصين إنهم ينشدون تحقيق ما أسموه بالوجود الأصيل بأي شكل كان ، وبأي ثمن كان في مغامرة أو مقامرة ليس من الصواب دائمـًا الإقدام عليها بسهولة..."(١)

وإننا لنسائل كيركجور هنا مشفقين وأنىٰ لنا من جواب !! كيف استطعت كيركجور أن تنزع نفسك من حقيقة الإنسانية عامة وماضيها كله إلا في الخطيئة؟! لماذا أثقلت نفسك قلقـًا من خطايا الناس من قبلك أجمعين، وتحملت وحدك القلق علىٰ وجودك حتىٰ صرت كالمغشي عليه من الموت في كل لحظة ؟!!

ثانيـًا : تطرف كيركجور في الاعتماد علىٰ الوجدان والعواطف علىٰ حساب العقل: جاءت فلسفة كيركجور كرد فعل لتطرف المذاهب العقلية وخاصة مذهب هيجل ، لكنها تطرفت في تضيق مجال إعمال العقل لحساب العاطفة والوجدان مما جعلها عرضة للنقد .

لو أن كيركجور قد اكتفىٰ بالقول بأن الإنسان تحركه عواطفه كما يحركه عقله وربما أكثر لما كان هناك إشكال ؛ لكن كيركجور لم يجعل للعقل نصيبـًا في فلسفته. ونظر إلىٰ المشاعر الشخصية علىٰ أنها وحدها السبيل الصحيح

---

(١)الوجودية الدينية ٥٥ .

للمعرفة ،وهذا موقف شديد الخطورة ، وسيترتب عليه إمكان تحدي ما لدينا من انطباعات ذاتية بوساطة الحجج العقلانية أو معطيات الحس . (١)

يقول رسل في كتابه حكمة الغرب :" إن نقد هيجل الذي اتخذ منه فكر كيركجور نقطة انطلاقه هو في أساسه نقد صحيح ؛ غير أن الفلسفة الوجودية التي ظهرت بناء علىٰ هذا النقد لا تتصف بنفس القدر من الصحة ؛ ذلك لأن تضييقها لنطاق العقل يعرضها لمتناقضات لا حصر لها ... من الواجب أن نتذكر أن الإقلال من شأن العقل لا يقل خطورة عن المبالغة في تقديره ؛ فهيجل نظر إلىٰ العقل نظرة أرفع مما ينبغي ، ومن هنا وقع في خطأ الاعتقاد بأن الكون كله يمكن أن يتولد عن العقل ، أما كيركجور فقد تطرف في الاتجاه المضاد ، وذهب إلىٰ أن العقل عاجز عن مساعدتنا علىٰ إدراك النوعي والخاص الذي هو وحده الجدير بالمعرفة . مثل هذا الرأي ينكر أية قيمة للعلم ". (٢)

وبصرف النظر عن نقطة انطلاق كيركجور- أي محاربة العقل - فاعتماده علىٰ العاطفة نفسه كان فيه خلل وعدم توازن ؛ حيث ركز علىٰ المشاعر المؤلمة التعسة وخاصة القلق ، وجعل لها الدور الرئيس في أنطولوجيا الوجود ، وتنكر للأحاسيس البهيجة كالأمل والتفاؤل والسعادة والفرح والإيثار وغيرها ؛ فهناك الكثير من الأحاسيس الوجدانية البهيجة في حياة كل إنسان ، وقيمتها الأنطولوجية لا تقل عن قيمة القلق وغيره من المشاعر التي ركز عليها كيركجور .

وإن تأكيد كيركجور علىٰ تلك المشاعر التعسة لهو خير دليل يشهد علىٰ أن

---

(١) حكمة الغرب ج٢/ ١٤٤.وانظر :الحياة الكريمة ١٤٥.

(٢) حكمة الغرب ج٢ / ١٤٤.

هناك ضرباً من الحالة المرضية في وجودية كيركجور وتركيزاً علىٰ ضعف الإنسان وتعاسته وفنائه بدلاً من الاهتمام بقوته ورجائه [1]

إن دوران فلسفة كيركجور حول مقولات القلق اليأس الإثم الهم الاغتراب...إلخ أنتج ذلك الطابع المأساوي الكئيب الذي نظر به للحياة وعماه عن رؤية أي جمال فيها. يقول د/ زكريا إبراهيم :" ربما كان في استطاعتنا أن نأخذ علىٰ كيركجور نزعته اللاعقلية المتطرفة ، وإغراقه في تصوير ما في الوجود من ألم وضيق وصراع، وتأكيده لعلاقة الذات بالمطلق من خلال القلق النفسي أو التمزق الداخلي وحده ، وهل تكون شدة الشعور بالحصر هي وحدها التي تقربنا من الله ؟! أولا تدنو بنا من المطلق طهارة النور الباطن وصفاء النفس المطمئنة كما هو الحال في فلسفة مالبرانش مثلاً؟ بل هل يكون الإيمان دائماً مقروناً بذلك التمزق الباطن ، وتلك السورة النفسية الجامحة ؛ كأن المؤمن لا يمكن مطلقاً أن يبلغ مرحلة من السكينة القلبية فيها تهدأ نفسه أو تخف حدة قلقه ؟!" (٢)

" ليس في استطاعة أية فلسفة ـ بلا ريب ـ أن تتجاهل ما في الوجود البشري من طابع درامي أليم ، ولكن ليس في وسع أي مذهب فلسفي ـ أيضاً ـ أن يغلق الدراما البشرية علىٰ نفسها لكي يجعل منها قصة تافهة يرويها أحمق ، ومهما كان من أمر تلك الفلسفات التشاؤمية أن تشدد علىٰ نغمة (اليأس) وتعمل علىٰ تأكيد نبرة (القلق) فإن كل حياة إنسانية سوية لابد من أن تجد لنفسها ـ في صميم نشاطها العملي ـ حلاً واقعياً لمشكلة الشر الخاصة بها ".[3]

---

(١) انظر : الوجودية ، جون ماكوري ص: ٢٨٠.

(٢) الفلسفة الوجودية ص: ٤٤، ٤٥وانظر كيركجرد فريتوف برانت ١٧٩.

(٣) المشكلة الخلقية م٦/ من سلسلة مشكلات فلسفية د/ زكريا ابراهيم ٢٣٧ مكتبة مصر.

المبحث الثاني :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد النفسي

بعيداً عن التزام كيركجور في تناوله لمشكلة (القلق الإنساني) بالمبادئ العامة لفكره أو عدم التزامه بها ، وقيمة مبادئه بين مبادئ الفلسفات الأخرىٰ ، فإننا في هذا المبحث نتساءل عن قيمة فلسفة كيركجور من الناحية العلمية العملية ؛ أو القيمة الموضوعية لفلسفة كيركجور في الحقل العلمي العام ؛ فإذا كانت سيكولوجيا(القلق) تلعب في وقتنا الراهن دوراً كبيراً وفريداً لا في مجال الطب العقلي فحسب ؛ بل أيضـًا في علم نفس الدين ، وفي التحليل النفسي ، حيث القلق هو الانفعال السائد في الحياة ، مع وجو العديد من أشكال عصاب القلق، فالقلق ظاهرة محورية تسعىٰ علوم وتخصصات عديدة إلىٰ حل ألغازها ؛ أقول: إذا كان ذلك كذلك **فما قيمة فلسفة كيركجور في مشكلة القلق الإنساني في الحقل العلمي العام ؟ هل استطاع كيركجور من الناحية النفسية (السيكولوجية) أن يصور لنا شعور القلق ؟ ما مدىٰ مصداقية فلسفته في تصوير هذا الشعور ورصد أنواعه ؟ وإذا كان كيركجور ربط هذا الشعور من الناحية النفسية بسيكولوجيا الحرية ؛ فما مدىٰ دقة هذا الربط الكيركجوري بين القلق والحرية ؟ هل ممارسة الحرية والاحساس بالمسئولية يلازمه في الواقع الشعور بالقلق وبهذه القوة التي رصدها كيركجور؟ هل استطاع كيركجور أن يضع العلاج النفسي لمشكلة (القلق الإنساني) ؟**

إننا بداية نقرر أن كيركجور بتحليله لعاطفة (القلق الإنساني) وغيرها من العواطف مثل اليأس والألم قد قدم إسهامـًا كبيراً ؛ لقد كان بحق " محللاً

بارعا لتركيبات الوجود الشخصي ، واصفاً دقيقا لباطن الذات"،(١) حتىٰ عده الباحثون من كبار السيكولوجيين ؛ يقول فريتيوف برانت :" إن كيركجور عبر بدقة رائعة فائقة عن أهم مفاهيم الوجود القلق ، الاكتئاب ، اليأس ، الاضطراب ، التناقض ، التعارض ، السلب ، النفي) وعاينها في شخصيته و شخصية والده الذي كان يعاني مثله من نوبات متقطعة من الكآبة والشعور بالخطيئة ".(٢) " وقد كتب جورج براندز إلىٰ نتشه عام ١٨٨١ يقول:" في اعتقادي أن كيركجور هو أعظم السيكولوجين الذين ظهروا حتىٰ الآن وأكثرهم عمقاً ".(٣) " ولن ينكر أحد ما في بعض استبصارات كيركجور من عمق".(٤)" ويكفي الآن أن نقول إن كل من له أدنىٰ دراية بالنظريات السيكولوجية عن الذات في القرن العشرين سوف يجد حديث كيركجور عن المراحل مدهشاً ؛لأن ما يقوله ليس سوىٰ توقع له مغزاه من استبصارات فرويد وأتباعه".(٥)

" ومن هنا جاء الاهتمام في العقود الأخيرة بإحياء كيركجور في ميدان علم النفس العام ، وعلم النفس المرضي ، والطب النفسي والتحليل النفسي علىٰ حد سواء ، وكان كارل ياسبرز قد أشار في فترة مبكرة في كتابه (علم النفس المرضي العام) إلىٰ الأثر الذي تركه كيركجور علىٰ العلوم التي تدرس الاضطرابات النفسية نتيجة لاهتمامه بدراسة الذات الحقة أو السوية أو

(١) في الفكر الحديث والمعاصر ١١٠، ١١١.

(٢) كيركجرد فريتوف برنت ٦٧.

(٣) كيركجور د/ امام عبد الفتاح ج٢/ ٣٣٥.

(٤) الوجودية: ماكوري، ص:٢٤٢.

(٥) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ١٣٦.

الأصلية ، ومن ثم دراسة ما يمكن أن يطرأ علىٰ الذات البشرية من أمراض وعلل واضطرابات ، ولقد أدىٰ الاهتمام بهذا الموضوع إلىٰ ظهور مذاهب سيكولوجية جديدة تهدف إلىٰ دراسة الذات ككل ؛ منها علىٰ سبيل المثال(علم النفس الوجودي) كما ظهرت مجموعة من الأفكار السيكولوجية التي استهدفت بناء تصور للذات الأصيلة ، وفضلاً عن ذلك فقد وجدت ضروب من الممارسات العلاجية المختلفة داخل مدارس التحليل النفسي وخارجها وجدت نفسها في مواجهة مهمة ألقاها كيركجور علىٰ عاتقها وهي مساعدة مرضاهم علىٰ اكتشاف ذواتهم الحقيقية ، ولقد جاء الاهتمام بكيركجور في ميدان علم النفس من زوايا أخرىٰ ؛ هي التغيير الجذري في أفكارنا حول السوي والمريض نفسياً ؛ فقد فَقَدَ التضاد بين (الصحة النفسية) و(المرض النفسي) حدته السابقة، وأصبح ما كان يعتبر في الماضي سوياً موضع شك ؛ بل ذهب بعض الباحثين إلىٰ أنه ربما يكون مرضاً نفسياً شائعاً بين الناس ، والعكس قام المرضىٰ النفسيون - حتىٰ في الأمراض الخطيرة بتصحيح فهمنا المألوف للذات والعالم ".(١)

ولكن مع هذه القيمة التي احتلها فكر كيركجور بين العلوم الأخرىٰ ؛ فإن هناك عدة انتقادات سيكولوجية قد وجهت إليه في تحليله للقلق نذكر منها ما يأتي :

أولاً : العديد من المؤرخين قد أشاروا إلىٰ غموض المفهوم الذي وضعه كيركجور للقلق ، وأكدوا علىٰ عدم وضوحه ؛ فيصف (جون ماكوري) و(ولتر لوري) والدكتور إمام عبد الفتاح وغيرهم كتاب (مفهوم القلق)

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٢٩٥. ينبغي أن نتذكر هنا كلام كيركجور الذي كان يعمم به الشعور بالقلق علىٰ جميع البشر باعتباره شعور أنطولوجي أساسي .

بأنه:(كتاب بالغ الصعوبة والتعقيد)، وأنه يشتمل علىٰ قدر غير قليل من الفقرات المجدبة والاستدلالات الغامضة المبهمة والبالغة الخفاء ؛ بل والمتضاربة في بعض الأحيان [1] ويؤكد ماكوري في أكثر من موضع علىٰ أن التصور الذي يعرضه كيركجور للقلق ليس واضحـًا علىٰ الإطلاق ، وليس متسقـًا تماما "[2] وقد اعترف كيركجور نفسه بأن(مفهوم القلق أصعب موضوع عالجته السيكولوجيا علىٰ الإطلاق ".[3]

وقد التمس البعض العذر لكيركجور في هذا الغموض الذي صاحب تصوره للقلق من منطلق أن " للقلق طابعـًا دقيقـًا رؤاغـًا يصعب الإمساك به ".[4]

وبغض النظر عن غموض تصوير كيركجور للقلق ؛ فإن(هوفندج) كان قد هاجم سيكولوجيا (مفهوم القلق) في فلسفة كيركجور بسبب ما فيها من وثبة كيفية؛فذهب إلىٰ أن العلوم بما في ذلك علم النفس تقوم علىٰ أساس افتراض اتصال لا ينقطع من الإمكان إلىٰ الفعل ، وبالتالي أن كل حالة جديدة ليست سوىٰ نتيجة بسيطة لحالة سابقة،أما الوثبة فسوف تقضي علىٰ كل اتصال يتطلبه العلم.(٥)

ثانيـًا : القلق بإزاء الحرية فيه تهويل مبالغ فيه من الناحية النفسية ؛ حيث حمل كيركجور عمليات الاختيار واتخاذ القرار أكثر مما تحتمل من القلق ،

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٣٣.

(٢) الوجودية ٢٤٠، وانظر : ٢٤٢.

(٣) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٣٣٣.

(٤)الوجودية ٢٤٠، وانظر : المرجع نفسه ٢٤٢.

(٥) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٣٥، ٣٣٦.

مع الافتقار في الوقت ذاته لمبررات هذا التحميل .

لقد اتخذت عمليات اتخاذ القرار والاختيار بين الإمكانات المختلفة طابعـاً شديداً مبالغـاً فيه من القلق ؛ فقد دعانا كيركجور أن نخوض جميع اختياراتنا بقلق علىٰ جميع الإمكانات ، ومن كل الإمكانات ، حتىٰ صار موضوع القلق هو العدم !!.

حقـاً ...إن القلق يصاحب الإنسان في كثير من عمليات الاختيار واتخاذ القرار ؛ وهو شعور مطلوب ويؤدي مهمة إيجابية في هذه العمليات ؛ لكن حين يتضخم القلق ويزيد حجمه حتىٰ يصير كل شيء مقلوق منه ومقلوق عليه كما يصور لنا كيركجور ؛ فإن القلق هنا سيكون شعوراً سلبيـاً محضـاً لا إيجابية فيه مطلقـاً لأنه سيصبح عائقـاً عن العمل واتخاذ القرار ، بل من الممكن أن يودي بحياة الإنسان ، فالإنسان الذي يخاف من كل شيء ، وعلىٰ كل شيء لن يقدم علىٰ عمل شيء ، ولن يتقدم من مكانه خطوة مخافة الأخطار في الطريق، فهو شخص جبان ، حياته كلها خوف لا إقدام فيها ولا عمل .

يقول ماكوري : " لن ينكر أحد أن هناك مبرراً قويـاً لتلك الحاجة إلىٰ المسئولية الشخصية عن القرار في مواجهة جميع المؤثرات التي تقف ضده والتي تدعم المسايرة بغير تفكير، وفي الوقت ذاته يمكن أن تكون هناك مغالاة وجودية في هذه المسائل ، فهناك مجال للعادة والعرف والتقاليد ، ولن يكون لها تأثير مخيف إذا ما تعاملنا معها وطبقناها بذكاء ، ولا شك أن فعلي يصدر عن سوء طوية لو أنني تجنبت عن عمد مواجهة قرار أمين ، واتبعت أنماط السلوك المتعارف عليها ، حتىٰ أوفر علىٰ نفسي القلق الذي يظهر كما يقول كيركجور في عبارته الشهيرة عندما يلقىٰ بالمرء علىٰ عمق سبعين ألف ذراع ؛ غير أن المرء يقع في هوة النزعة الرومانتيكية والفردية الحمقاء لو تصور أن عليه دائمـاً أن يظل يعاني بسبب قراراته، أو افتراض أن الشيء الذي يتم عمله

نتيجة لقرار واع وعميق كل العمق هو وحده الذي يمكن أن يعد فعلاً إنسانياً بحق ؛ ذلك لأن الفرد يتراكم لديه ضرب من الحكمة بمضي الزمن ، ولا بد له يقيناً أن يعترف بأن للمجتمع بدوره حكمته التي تجسدها قواعده وأعرافه . إن الفعل ينبغي ألا يعرف تعريفاً أضيق مما ينبغي ؛ فمن السهل المبالغة في وجهة النظر الوجودية عن الفعل " .(١)

كما أنه في الوقت الذي تضخم وتهول وجودية كيركجور في حجم القلق المصاحب لعملية الاختيار واتخاذ القرار نجد أن القلق فيها يفتقر لمبررات وجوده من الأساس فضلاً عن التضخيم فيه ؛ فإذا كانت الحقيقة فيها ذاتية...والوجدان يخلق ابتداء من ذاته ما هو حق ، وأن الحقيقة من عمل الحرية فعلام القلق ؟! إذا كان كل واحد منا محصوراً في قطيعة أنطولوجية وهو المكون لوجوده الخاص بمحض حريته ففيم القلق ؟! إذا كان الاختيار نفسه ليس اختياراً عقلياً ، وإنما هو وثوب أعمىٰ أو قفز في المجهول فلماذا القلق ؟! وإذا لم يكن مهماً في عملية الاختيار أن نختار الصواب بقدر أهمية الإيمان بما نختاره فقط فلم القلق ؟! وإذا كان الكون ـ أولاً وأخيراً من وجهة نظره ـ عارضاً تماماً ومليئاً بالتناقضات والإنسان يعيش فيه علىٰ حافة هاوية من اللايقين ، بل هو سائر حتما نحو الموت فعلام القلق إذن؟ وما مبرراته ؟!

ثالثاً :أبرز النقاد بعضاً من أوجه التناقض في تحليل كيركجور للقلق من أهمها: أننا نجد كيركجور يشدد علىٰ دور القلق وأهميته في عملية بناء الذات وصيرورتها ذاتاً أصيلة ، لكنه في الوقت ذاته يربط القلق بالعدم ، وينظر إلىٰ الوجود نظرة غاية في التشاؤم والقنوط ، وهذا تناقض سيكولوجي فاضح في التحليل الكيركجوري للقلق كشعور أنطولوجي .

---

(١) الوجودية ، جون ماكوري ٢٧٠، ٢٧١.

فلا شك أن عملية بناء الذات الحرة تتم في جو من القلق ، فالقلق لازم من لوازمها، ولكن هذا القلق حتىٰ يؤتي أكله ويؤدي دوراً إيجابياً في تلك العملية لابد أن يصاحبه الرجاء والأمل ، وتستحثه غاية أو هدف أو ـ باصطلاح علماء النفس المحدثين ـ معنىٰ للحياة ، لكن النظرية الكيركجورية أحاطت الذات بالعدم من كل جانب ، وأرتها الوجود بنظرة ملؤها التشاؤم والإحباط ، تحاصرها فيه الخطيئة والإثم ، وينتظرها اللامعقول والموت ، أيكون من الممكن أن تستمر ذات في بناء نفسها في مثل هذه النظرية الكئيبة ؟!

لقد أكدت الدراسات النفسية علىٰ أن " أي محاولة يستخدمها الشخص لكي يسترد قوته الداخلية ينبغي أن تنجح أولاً في أن يبصر لنفسه هدفاً مستقبلياً ، فمن يمتلك سبباً يعيش من أجله فإنه يستطيع غالباً أن يتحمل بأي طريقة وبأي حال".(١) ويؤكد الدكتور فيكتور فرانكل في كتابه (الإنسان يبحث عن معنىٰ) علىٰ أن أهم عمل للمعالج النفسي " أن يستكشف الجوانب التي يمكن أن يكون لها معنىٰ في حياة من يسمىٰ بالمريض ، وأن يساعد المريض في تجميع هذه الجوانب وتعميقها، وتحويلها لتكون له مصدراً من مصادر السعي والفاعلية والحيوية والاستمرارية ".(٢)

فأنىٰ لذات اتبعت نظرية كيركجور أن تبدأ في تحقيق وجودها من الأساس !!

إن الذات في مذهب كيركجور ستظل دوماً مجرد إمكانية لا يتم تحقيقها ؛ فهي

---

(١)الإنسان يبحث عن المعنىٰ مقدمة في العلاج بالمعنىٰ ، التسامي بالنفس فكتور فرانكل ترجمة / د/ طلعت منصور مراجعة وتقديم د/ عبد العزيز القوصي ص: ١٠٧. دار القلم الكويت ، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٢ه، ١٩٨٢م

(٢)المصدر نفسه : ١٢

دوما ماهية قادمة ؛ ماهية تركض أمام نفسها ، وليست هي ما هي ؛ بل ما يمكن أن تكون. (1) لقد جاءت وجودية كيركجور كرد فعل للموضوعية فتطرفت في الذاتية حتىٰ استحالت معها الذاتية إلىٰ مجرد عدم .

ومن أوجه التناقض التي أبرزها الباحثون أن كيركجور كما علمنا ربط القلق بالروح ؛ لكنه حكم من ناحية أخرىٰ علىٰ المرأة بأنها أكثر قلقًا من الرجل علىٰ الرغم من ضعف وجود الروح فيها عن الرجل من وجهة نظره. يقول د/ إمام عبد الفتاح في تسجيله لهذا التناقض في تصور كيركجور للقلق :" واضح ما وقع فيه كيركجور من تناقض فيما بين بداية الفكرة ونهايتها ، فإذا كان القلق يرتبط بالروح ، وإذا كان الرجل يتميز بالروح أكثر من المرأة، فكيف يمكن أن يكون هو أقل قلقـًا منها ؟ كيف تكون المرأة أقل في الروح وأكثر في القلق في آن واحد ؟ "(2)

رابعـًا :من ناحية القيمة العلاجية لفكر كيركجور في مواجهة مشكلة (القلق الإنساني) فإننا نلاحظ علىٰ جميع الفلسفات الوجودية عمومـًا أنها تطرح التساؤلات و تثير المشكلات ، ولكنها أبداً لا تمنح الإجابات ، ففي الفلسفات الوجودية ـ كما لاحظ الدارسون لها ـ " السؤال أهم من الجواب ، ووصف الأزمة أهم من حلها ولا فرق بين وجودية مؤمنة ووجودية أخرىٰ "(3) ويصف أنيس منصور الفكر الوجودي بأنه :" أصابع تشير وأشعة كاشفة .. ولكنه ليس يعالج ولا يقترح العلاج" .(4)

---

(1) انظر : مع الفيلسوف ص:٢٣٧، ٢٣٨.

(2) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٣٤٩.

(3) الوجودية الدينية ص: ١١.

(4) الوجودية ، أنيس منصور ص ١٧.

وقد أعلن كيركجور في صراحة ووضوح " إن مهمته في هذه الدنيا أن يثير الإشكالات في كل مكان ، لا أن يجد لها حلاً ".(١) وبالفعل نجد أن وجودية كيركجور لم تقدم لمشكلة القلق الإنساني شيئًا ؛ بل علىٰ العكس زادت موجة القلق والشك والحيرة ؛ لقد عجزت معطيات وجودية كيركجور عن أن تقدم شيئًا للنفوس القلقة ؛ إنها لم تقدم شيئًا بنَّاءً يشكل النفوس من جديد ، أو يبعث فيها الطمأنينة ، وإنما قدمت مفهومـًا متشائمـًا مغرقـًا في اليأس والقلق يصور مستقبلها عدمـًا ، حاولت أن تثبت أن الإنسان ضائع، وأنه خلق ليقاسي العذاب ، ويعيش في الفراغ ، فهي لم تزرع الأمل في النفوس ولذا كان حصادها العدم .

يقول الدكتور إمام عبد الفتاح : " أما جدل العواطف عند كيركجور فلعل خير ما أبرزه أمامنا أن العقل الجدلي لا يخلو من عنصر (لا معقول) أو جانب عاطف، لكن الخطأ الأساسي الذي وقع فيه كيركجور هو أنه قد اكتفىٰ بهذا الكشف وقبع في اللامعقول والخلف والعبث ، إن القلق كما يقول لافيل بحق ينبغي أن يكون عاملاً يثير ويوقظ البحث عن حل لا أن يكون هو نفسه حلاً " (٢).

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ١٩ .

(٢) تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان : ٢٢٨ .

المبحث الثالث :

فلسفة كيركجور في مشكلة (القلق الإنساني) في ميزان النقد الديني

علمنا أن دراسة كيركجور لشعور (القلق الإنساني) كانت دراسة لاهوتية أكثر منها فلسفية أو نفسية ؛ حتىٰ قرر كثير من مؤرخي الفلسفة وعلىٰ رأسهم كاوفمان أن كيركجور"علىٰ عكس اتجاه الفلسفة الحديثة قد أعاد الثقة إلىٰ سلطة الكتاب المقدس، واقتبس آيات كثيرة ، وأحياناً كلمات متناثرة ليقيم عليها أفكاراً معينة ؛ فهو مثلاً وعلىٰ نحو ديجماطيقي سلم بالخطيئة الأولىٰ ؛ فكان لاهوتياً أكثر منه فيلسوفاً، وملاحظاته السيكولوجية ليست أكثر من (توابل) تضاف إلىٰ موقفه".[1]

لقد قامت وجودية كيركجور برمتها علىٰ تبرير المسيحية ، فـ" الحياة المسيحية كانت بالطبع عند كيركجور أسمىٰ شكل للوجود البشري وأكثره أصالة "[2]؛ وكان علاج (القلق الإنساني) هو العيش وفقاً لمقتضيات هذه العقيدة المسيحية ؛ حيث كان الهدف النهائي للتطور الجدلي للذات بلوغها الخلاص والسعادة من خلال المسيحية ؛ حتىٰ قرر المؤرخون أن فلسفة كيركجور كانت في جوهرها نداءً إلىٰ الآخرين كي يصبحوا مسيحين .

ونحن هنا في ميزان النقد الديني لنتساءل :

ما مدىٰ موضوعية كيركجور في جعله المسيحية النموذج الأصيل للوجود البشري ؟ هل اطمأنت نفس كيركجور لعقائد المسيحية ومنحته الاستقرار والهدوء النفسي حتىٰ أصبح مبشراً بها موصياً غيره باعتناقها ؟!! هل

---

(1) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٢١ .

(2)الوجودية ، جون ماكوري : ٣٩٦ وانظر : كيركجرد ، فريتوف برنت ١٨٠ .

استطاعت تلك الديانة بعقائدها ومبادئها أن تعالج قلقه الشخصي حتىٰ جعلها الدواء لمن يعاني داء القلق؟!هل أجابته مسيحيته إجابات شافية عن كل الأسئلة التي أثارها له وجوده في هذا العالم فكانت له كهفا وملتجأ ؟!

إن الحقيقة التي يؤكدها المؤرخون وتشهد لها حياة كيركجور وأقواله أن المسيحية لم تستطع مطلقًا أن تمنحه الهدوء النفسي والطمأنينة القلبية ؛ بل علىٰ العكس من ذلك تمامًا ؛ " المسيحية أذكت النيران في صدر كيركجور وعملت علىٰ تقوية التوتر والتمزق الداخلي وازدياده حدة وعنفًا "(1) ، لقد كانت وقوداً لا ينفد لكآبته وقلقه ؛ إذ " كيف يمكن ـ كما يقول ريجيس جوليفيه ـ أن ننسىٰ أن التزايد المستمر لتلك الكآبة الهائلة التي أوحت أحيانًا إلىٰ نفس كيركجور بالتفكير مراراً في الانتحار لم ينقطع له تأثير في التصور الذي صاغه لنفسه عن المسيحية الصحيحة ، إلىٰ درجة أنه قد بدا في مراحل معينة من حياته أن المسيحية هي التعبير الحقيقي عن القسوة العارية من كل معنىٰ للإنسانية ، ولقد ظل هذا المبدأ راسخًا في نظر كيركجور ؛ وهو أن المسيحية التي ينتزع منها عنصر الارتعاد ليست إلا مسيحية من نسج الخيال ، ويقول أيضًا:(إن الله هو عدوك اللدود)".(٢)

إن المسيحية لم تستطع مطلقًا أن تقدم لكيركجور منهج حياة مشبعًا للعقل والقلب، ملبيًا لحاجات الروح والجسد ، مجيبًا له عما يثيره وجوده في العالم من أسئلة واستفهامات ؛ بل أصابته بما يشبه داء الفصام ؛ فقسمت شخصيته علىٰ نفسها، ومزقت ضميره قلقًا وحيرة بين نوازع الجسد ونوازع

---

(1) جدل الإنسان ص: ٢٢.

(2) المذاهب الوجودية ص:٣٤. وانظر جدل الإنسان ٢٣.

الروح ، بين سلطان الأرض وسلطان السماء، لم يعرف ـ من خلالها ـ لحياته هدفـًا ، ولم يجد فيها لقلقه علاجـًا .

" لقد عجزت العقيدة المسيحية عن إقناع الذهن المتعطش إلىٰ الفهم والإدراك بما هو في حاجة إلىٰ الاقتناع به ؛ إنها تكتفي أمام كثير من الحقائق الاعتقادية بتجميد الفكر البشري ، وصده عن متابعة البحث والتنقيب بدعوىٰ إن هذه الحقائق هي أسرار إلهية لا يدركها العقل البشري ".(١)

يقول الدكتور غلاب : " إن منشأ القلق بل الغم أحيانـًا عند أؤلئك المفكرين ـ يقصد الشعبة المسيحية من الوجوديين وعلىٰ رأسهم كيركجور ـ هو أن المسيحية لا تقدم ترضية تامة إلىٰ مطالب العقل الذي يتوق إلىٰ فهم كل شيء؛ بل إن العقيدة التسليمية كثيراً ما تتطلب تخلي الفكر عن رسالته ؛ لأن بعض مبادئها يصطدم مع العقل الذي لم يعد لقبولها... الخطيئة العنصرية هي في نظر الناس ضرب من الجنون ، ولكن الدين يقدمها علىٰ هذا النحو ، وإذن فلا تأخذوا عليه عدم تأييد العقل لهذه العقيدة ، ما دام أنه يقدمها لتكون بلا مسوغ ".(٢)

---

(١) معنىٰ الوجودية ٦٩ .

(٢) الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ٢٤. فعقيدة الخطيئة والتي تعتبر أبرز العقائد التي ارتبط بها القلق في فكر كيركجورقد اتخذت في البروتستانتية أبعاداً مخيفة ، فلم يك أمام خطأ يرتكبه الأفراد ويحاولون إصلاحه بمساعدة إلهية... بل أمام لغز بشري اسمه الخطيئة الأبدية تلك الخطيئة التي ارتكبها آدم وتوارثها أبناؤه جيلاً بعد جيل . كان العقاب الإلهي لآدم إخراجه وذريته من بعده من العيش في الجنة ، وإرغامهم علىٰ العيش في عالم تسوده البلايا والأرزاء والأمراض والشقاء والموت ، ومهما حاول الإنسان تكفيرا عن تلك الخطيئة لن يستطيع مطلقـًا أن يكفر عنها بمفرده ؛ لأن طبيعته

إن العقل البشري تجهده الأثقال التي تضعها فوقه العقائد المسيحية ؛ فيكون بين أمرين لا ثالث لهما ؛ إما أن يهضم نفسه فيقبل هذه الأوهام ويعتنقها علىٰ ما بها ، وإما أن يطرحها ويسير وفق ما يراه ، وقد اختار كيركجور الطريق الأول؛ فوقف ضد النزعة العقلية ، ونادي بأن يستجيب الإنسان للإيمان أو الشعور بدون اتفاق مع العقل ، بل اعتبر كل محاولة لإضفاء طابع عقلي علىٰ الدين تجديفاً وكفراً . يقول كيركجور:"العقل لا يمكن أن يكون حكماً في مسائل الإيمان ...لابد من إزاحة العقل بوصفه عقبة في طريق الإيمان ".(١) ومن هنا قرر فريتوف برانت أننا " لا يمكننا إلا أن نلاحظ أنه ما من مفكر ديني آخر قد فصل المعرفة عن الإيمان بهذا القدر ، كما لا يوجد

=

البشرية أصبحت ساقطة فاسدة ، أفسدتها الخطيئة منذ نشأتها ، ومن ثم فواجبنا ليس إصلاحها ، بل القضاء عليها لإعادة خلقها ؛ يجب أن نقتل في أنفسنا الرجل القديم بتعذيب الجسم ،أعني أن نموت لنحيا من جديد ، وهذا الغفران عمل اعتباطي ؛ أي أنه لا يرتبط بما يقدمه المرء من خدمات ويقوم به من عبادات ؛ بل يرتبط بالإرادة الإلهية ، يصيب من يشاء ويمتنع عمن يشاء بمحض هذه الإرادة . " أما المذهب الكاثوليكي فأقل تشاؤماً وأخف وطأة ؛ فهو يرىٰ أن الخطيئة الأصلية لم تفسد الطبيعة الإنسانية كلها ؛ بل يستطيع الإنسان معها أن يكتسب ضرباً من الفضيلة الشخصية . وتلعب أعمال الإنسان دوراً مهماً في قضية الخلاص، وهكذا فالكاثوليكي لا يغرق في لجة اليأس " هذه هي الوجودية ١٤٠ . كما أن الكاثوليكية فقد عثرت علىٰ متنفس في مراسم الاعتراف انظر : تطور الجدل بعد هيجل م٣/ جدل الإنسان ٢٣ ، كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٩٦ .

(١) نقلاً عن كيركجور،د/ إمام عبد الفتاح ج٢/ ٤٢٣.كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج٢ / ٤٢٣ .

مفكر ديني آخر قد أكد الجانب الإنغراقي في الإيمان. وتبدو شروحات كيركجور أشبه بتطوير لقول الأب (ترتليان) الشهير:(أنا أؤمن لأن هذا محال) ".[1]

لقد كانت" المسيحية بالنسبة لكيركجور هي دين التناقضات والمفارقات التي تتحدىٰ الفهم الموضوعي ، ولذلك تتعرض ذاتية الإنسان المؤمن بها لنوع من التوتر والإرهاق العنيف ، فعلىٰ المؤمن بها أن يؤمن بما هو محال (من الناحية العقلية) ليصبح مسيحياً حقيقياً ، إن المسيحية بالنسبة لكيركجور أسمىٰ مثال علىٰ المبدأ القائل بأن الذاتية هي الحقيقة ، لأنها أكبر امتحان يمكن أن تتعرض له قدرة الإنسان علىٰ الإيمان ، وعلىٰ الاستمرار في هذا الإيمان دون أن يرضخ مرة أخرىٰ لجذب النظرة الموضوعية إلىٰ المسيحية مهما كان ذلك الجذب والإغراء " .[2]

كما أن المسيحية الكنسية بما دعت إليه من رهبانية وإماتة للشهوات والغرائز الفطرية في الإنسان ، وتصويرها لهذه الشهوات باعتبارها رجساً ينبغي التنزه عنه قد طالبت كيركجور بما فوق طاقته كبشر ؛ فمكث عمره " يجتذبه العالم من ناحية، وتؤرقه الرغبة في القداسة ناحية أخرىٰ"[3] ؛ مكث عمره قلقاً حائراً في حسم الصراع الذي نشب بداخله بين المتناهي واللامتناهي .

تقول الدكتورة فوزية أسعد ميخائيل في كتابها عن كيركجور:" إذا كان نداء المطلق قد غطىٰ علىٰ سائر الإمكانيات في حياته ؛ فقد اعتقد أحياناً أن بوسعه انتهاج ضرب آخر من الحياة ؛ حياة اللهو أو الحياة الزوجية ، ولكن لم يقدر له

---

[1] كيركجرد فريتوف برانت ص: ١٠٨.

[2] فلسفة الدين عند كيركجارد ٥٦. وانظر الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ٢٨ .

[3] الفلسفة الوجودية ٣٠ .

أن يتناول أساليب الحياة هذه إلا في أعماله الثقافية ، ويصدق هذا بالمثل علىٰ حياته الدينية ؛ فقد فاته أن يصبح مؤمنـًا حقـًا ، ولم يظفر بإيمان إبراهيم وأيوب ... ولذا نقول إن حياته تقضت بين تصارع إمكانياته ".[1]

ولعل هذا هو ما جعله يصرح بـ " أن المسيحية دين لا إنساني ؛ لأنها تقيم تعارضـًا وتقابلاً بين الطبيعة الإنسانية ومطالبها الطبيعية من أجل السعادة في هذه الحياة ، وتطلب موتـًا بالنسبة للعالم، وتركيزاً علىٰ الحياة بعد الموت ".

كما جاءت فلسفة كيركجور في القلق كتعبير صادق عن النتائج التي تحدثها هذه العقيدة المسيحية (الرهبنة) ؛ فقد ظهر القلق كانعكاس لما تقتضيه هذه العقيدة من تصارع وتوتر وتمزق في باطن الإنسان بين متطلبات الإنسان المادية ومتطلباته الروحية ، وجاءت وظيفته الإيجابية دعمـًا للروح وإماتة للجسد ؛ فـ" إذا كان حديث كيركجور عن المرحلة الحسية بالذات قد أوجد مجال الاهتمام بالجسم وبالحياة الشهوانية التي تسعىٰ للذة حسية ؛ فإن حديثه عن المرحلة الأخلاقية وما تفضي إليه من مقولات الإثم والقلق قد انطوىٰ علىٰ اعتباره الجسم مصدراً للشهوة التي تثير القلق في البعد الروحاني من الإنسان ، وهو البعد المناقض للحياة الشهوانية".(٢) إن " نظرته لما هو جنسي ـ وهي نظرة توجهها المسيحية ـ تتميز إلىٰ حد كبير بمعاداة الحياة في فلسفته ".[3] ومن هنا قرر فريتوف برانت أن كتاب:"(مفهوم القلق) يتوج

---

(١) سورين كيركجورد د/ فوزية أسعد ص: ٨٥.

(٢) فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ٦٥، ٦٦ .

(٣) كيركجرد ،فريتوف برانت ٨٦ .

الأعمال المتأخرة التي يطرح فيها كيركجور نظرة أكثر تزمتاً للمسيحية".([1])

و مما لا شك فيه أن المسيحية قد أجابت عن بعض التساؤلات التي وقفت أمامها الوثنية صامة خرساء ؛ ففسرت وجود العالم والإنسان بعملية الخلق الإلهي ، ولكن الواقع أن كل ما فعلته في هذا السبيل إنما هو تأجيل انفجار الأزمة؛ لقد وجدت نفسها بعد ذلك مرغمة علىٰ تفسير إرادة الله الخالقة ، وطبيعي أن السائل لها لا يكاد يبلغ هذه المرحلة حتىٰ يجد نفسه وسط خفاء وسرية تامة ، ولذلك شاركت المسيحية في تقوية الاتجاه الوجودي وبعثه ليتكامل في حقل لاعقلانية الواقع.([2])

وإننا لنسائل كيركجور أين كانت عقيدتك المسيحية وأنت تتساءل : من أنا ؟ ما هو هذا الشيء الذي أسميه بالعالم ؟ ما الذي أغراني بهذا الشيء وتركني الآن هنا؟ كيف جئت إلىٰ هذا العالم...؟ لماذا لم أستشر ؟ لماذا لم أتصل اتصالاً مباشراً بعاداته وتقاليده بل قذف بي في قلبه كما لو كنت قد جيء بي من عند تاجر رقيق؟" (٣)

فالمسيحية لم تجب كيركجور إجابات شافية عن هذه الأسئلة ؛ لذا بدا له الوجود مثلما بدا لملاحدة الوجودية وعلىٰ رأسهم سارتر ؛ بدا له عبثا ولامعقولاً ، بدا له لغزاً لا يقبل الحل ؛ وعدما سائراً حتما نحو الموت .ومن

([1]) كيركجرد فريتوف برانت ٨٦. وانظر: الوجودية جون ماكوري :١٣٢. وانظر : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ٦٥.

([2])انظر: هذه هي الوجودية ١٤٠.

([3])التكرار كيركجور نقلا عن كيركجور د/ إمام عبد الفتاح، ج١/ ٢٩٧، وانظر : في الفكر الحديث والمعاصر٩٨. الفلسفة أنواعها ومشكلاتها٤١٢، ٤١٥، كيركجارد ،د/ علي عبد المعطي ٣٨.جدل العقل والوجود ٢٧٤.

هنا يقول بول فلكييه:" لا تُرضي المذهبية المسيحية العقل بأكثر مما ترضيه الوجودية الملحدة ؛ العقل الذي يريد فهم كل شيء ، ومن هنا تسهم المذهبية المسيحية في تقوية الميل الوجودي الذي يكتفي بمحال الواقع ولا معقوليته ".[1]

لقد " كان من الواجب أن يوجد تباين شديد بين الوجودية التأليهية لكيركجور والوجودية اللادينية عند نيتشه، ولكن علىٰ نحو ما فقد جاءت جوانب التماثل بين هذين الفيلسوفين بالغة التأثير أكثر من أوجه الاختلاف بينهما ".[2]

وقد قرر كثير من المؤرخين أن" الصفات الوحيدة والمشتركة بين الوجوديين الألمان والفرنسيين وبين الوجودية التي أنجبها الدين هي الإدراك الحاد القوي لظلمة الحياة ، والشعور بترقب قلق ناتج عن ذلك القلق الغامر أو الخوف الشامل من جميع أشكال الحياة الذي صوره كافكا تصويراً دراميًا مقنعًا جداً . إن الوجوديين الدينيين ...يعترفون بمطالب الله أو المطلق علىٰ الإنسان في الوقت الذي يدركون فيه أن الإنسان يتصرف وكأنما قد أخفي عنه الأمر بشكل كبير عندما يحاول أن يخدم إرادة الله".[3]

لقد كان كيركجور يشعر" بالعثرة أمام المسيحية ، ومن ثم أحيانًا بالثورة والتمرد ضد الله ؛ لأنه خلق العالم علىٰ نحو ما هو عليه ، وفرض علىٰ الناس مثل هذه المطالب ...كانت تمر عليه لحظات يشعر أنها قاسية بطريقة لا إنسانية؛ حتىٰ لقد قال لسكرتيره (إسرائيل ليفن) ذات مرة :إنه يعتقد أنه

---

(1) هذه هي الوجودية ص: ١٤٠ .وانظر الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ٢٢.

(2) الحياة الكريمة ص: ١٣٨.

(3)سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ٥١، ٥٢. وانظر : الوجودية ماكوري ٣١١.

محظوظ ؛ لأنه بوصفه يهودياً فقد تحرر من المسيح ، وبعد عن عذابه وآلامه ، ولم ينجح كيركجور قط في حل هذا التناقض ؛ شعوره بصدق المسيحية من ناحية ، وقسوتها من ناحية أخرىٰ ".(١)

إن " كيركجور ليس شهيداً ؛ بل هو مسيحي متألم ؛ لم يستطع البتة أن يوفق لا في قلبه ولا في عمله بين القيمتين اللتين عرفت بهما بوجه الدقة ديانة المسيح ؛ المسيح بوصفه محنة ، والمسيح بوصفة أنموذجاً ".(٢)

" وإذا لم يستطع كيركجور أن يصبح هو نفسه مسيحياً بالمعنىٰ الذي أراده ، فقد كانت فلسفته نداء إلىٰ الآخرين ليقوموا بما لم يستطع هو القيام به ".(٣)

ولكن قد يتساءل البعض في حيرة هنا

إذا كانت المسيحية هي التي أدت إلىٰ قلق كيركجور وكآبته ؛ فلماذا لم يتحرر منها ؛ وهو الذي ظل حياته يتغنىٰ بالحرية حتىٰ صارت بيت القصيد في فلسفات الوجوديين من بعده؟!!

ونجيب هنا بأن الذي دفع كيركجور لاختيار المسيحية مثالاً وطريقاً لوجوديته ليس اقتناعه بها ، ولا اطمئنانه لعقائدها ومبادئها ؛ بل لأنها كانت ملائمة لنفسيته القلقة الكئيبة ، فقد" وجدت روح كيركجور بما فيها من قلق أنها موافقة للمسيحية باعتبارها مبدأ الوجود الذي يعيش فيه الإنسان الخوف والقشعريرة " .(٤)

يقول ريجيس جوليفيه : " المسيحية اللوثرية كانت ملائمة لنفسية

---

(١) كيركجور د/ إمام عبد الفتاح ج١/ ٩٧.

(٢) كيركيغارد بيار مسنار ص:٤٠.

(٣) فلاسفة وجوديون ٢٠.

(٤) المذاهب الوجودية ٣٤.

كيركجور المستسرة إلىٰ حد أنه يمكن التساؤل هل كيركجور هو المسيحي ؟! أم أن المسيحية هي الكيركجورية ؟! كل المشكلة التي يجب أن نتناولها هي مشكلة الكآبة ؛ فهل كانت تلك المسيحية القاسية القاتمة الباعثة علىٰ القلق والخوف التي جعل منها كيركجور النموذج الحقيقي للمسيحية كما يحياها الإنسان...هل كانت هذه المسيحية العلة أو النتيجة لتلك الكآبة المطبقة التي كانت جاثمة علىٰ وجود كيركجور منذ صباه حتىٰ مماته ؟ لا شك أنه ينبغي علينا أن نقول إنها كانت العلة والنتيجة معـاً".(١)

إن كيركجور في عقيدته المسيحية " وجد طريقـاً سهلاً معبداً يتخلص به من جميع آلامه وهمومه وهو الإذعان والاستسلام أعني أنه بحث عن السعادة والراحة في قلب العذاب والألم ...لقد ظن كيركجور أنه بذلك يرتفع فوق الآلام ويصل إلىٰ السعادة الحقة وهي السعادة الأبدية ، وينتقم في الوقت نفسه من العالم : (كل إنسان ينتقم لنفسه من العالم ، ولقد كان انتقامي يكمن في محافظتي علىٰ آلامي وهمومي عميقة مطمرة ، وأن أسلي الآخرين جميعـاً

---

(١) المذاهب الوجودية :٣٤. ينص كثير من الباحثين علىٰ أننا " لا ينبغي أن ندهش إذا عثرنا في أصول المسيحية علىٰ عناصر الوجودية الحديثة ؛ لأن هذه الديانة في عقيدتها وفلسفتها وأخلاقها وتنسكها تقتضي عند الذين يطبقونها بإخلاص وجود حالات نفسية تتجاوب مع الفكرة الأساسية للوجودية...ولكنها بسبب بعض تعاليمها السمعية التسليمية تخلق لدىٰ المفكرين منهم نوعـاً من الدهش والقلق والتضايق من كل ما ليس عقليـاً " الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ص٢٤.وانظر:هذه هي الوجودية ١٣٨الوجودية الدينية ٢٧،في الفكر الحديث والمعاصر ٧٥.

بضحكي) ".[1]

بالإضافة إلىٰ ما سبق فقد " كان سرن يقول عن نفسه إن مهمته في هذه الدنيا أن يثير الإشكالات في كل مكان ، لا أن يجد لها حلاً ".[2] يقول: " إن لدي من الشجاعة ــ فيما أظن ـ ما أستطيع معه أن أكافح ضد كل شيء؛ ولكن ليس لدي من الشجاعة ما أستطيع معه أن أتقبل أي شيء أو أمتلك أي شيء) ؛ فهل يكون معنىٰ هذا أن نزعته الرومانتية هي المسئولة عن ميله إلىٰ رفض الحقيقة من أجل الاكتفاء بالبحث عنها ؟أم هل نقول إن فلسفته لم تكن سوىٰ مجرد تعبير صادق عن حيرته الفكرية المستمرة وقلقه الروحي الدائم"[3]

من خلال ما سبق نستطيع التأكيد بكل موضوعية وحياد علىٰ أن المسيحية لا يمكن أبداً أن تكون كما أراد لها كيركجور علاجًا لمشكلة القلق الإنساني ولا النموذج الأمثل للوجود الإنساني الأصيل . فعقائد المسيحية الكنسية متنافية مع العقل ، متنافرة مع الفطرة ، لا تعطي إجابات شافية عن الأسئلة التي يثيرها وجود الإنسان في العالم . والعقيدة الصحيحة يجب أن تكون عقيدة متوازنة عقليًا ونفسيًا ؛ يطمئن إليها القلب ويوافقها العقل ، عقيدة تراعي متطلبات الإنسان المادية والروحية معًا دونما طغيان لجانب من أحد هذين الجانبين علىٰ آخر ، عقيدة تجيب الإنسان عن كل ما يعن له من أسئلة واستفهامات بأجوبة شافية ، ونحن لا نجد هذه العقيدة إلا متمثلة في عقيدة الإسلام ؛ فعقيدة الإسلام لا تتناقض مع العقل ، ولا تتجاهل رغبات الإنسان

---

(1)كتب كيركجور في مؤلفه (إما ..أو) :(إني أقول عن ألمي ما يقوله الإنجليز عن بيتهم ، إن ألمي هو قصري) نقلاً عن سورين كيركجورد ،د/ فوزية أسعد ص ١٧.

(2) سرن كيركجور رائد الوجودية ج١/ ١٩.

(3) الفلسفة الوجودية : ٤٤،٤٥.

المادية ولا مطامحه الروحية ؛ يعرف الإنسان من خلالها لوجوده سبباً ولحياته غاية وهدفاً ؛ فالتوازن جوهر هذه العقيدة ، وسعادة الإنسان وطمأنينته وراحته في الدنيا والآخرة مبتغاها ، ولسوف يذهب المسيحيون والعالم أجمع كل مذهب بحثاً عن الترياق لأمراضهم ، وأنىٰ لهم أن يجدوه إلا في عقيدة الإسلام وشريعته .

وليس هذا مجرد انحياز عقائدي ، أو مجرد دعوىٰ عارية عن البرهان ، بل هي الحقيقة الموضوعية التي يؤيدها جوهر هذا الدين ، وتؤكدها عقائده وتشريعاته. ولنمضي نعقد موازنة بين عقائد المسيحية التي كانت سبباً فيما أصاب كيركجور من قلق ، وما يقابلها في عقيدة الإسلام :

إذا كانت العقيدة المسيحية في الخطيئة[1] قد حملت كيركجور وزر آبائه أجمعين ابتداء من خطيئة أبي البشر آدم عليه السلام (الخطيئة الأولىٰ) وانتهاء بخطايا أبيه ميكائيل وآثامه العديدة ، فعانىٰ ويلات ما سماه بـ(القلق الموضوعي) ؛ فـ" ليس في عقيدة الإسلام ذنب يرثه أحد من أبيه أو يورثه لبنيه ؛ وغواية الشيطان لا تخلق الخطيئة ولا تعفي منها"[2]؛ فالإسلام ينكر عقيدة

(1) خطيئة آدم ـ كما صورتها المسيحية الكنسية ـ قد دمغت آدم وذريته كلها بالإثم حتىٰ جاء المسيح وتقبل مرارة الصليب ليكفر عن هذه الخطيئة ، ومع هذا لم يرفع الإثم عن الإنسان ؛ بل يجب عليه أن يكفر بالذل والهوان والتقشف والعذاب طوال حياته لكي يلحق بالمخلص ويتحد فيه ويجعله محنة وأنموذجا ، أي عليه أن يتقبل هو نفسه مرارة الصليب حتىٰ يصل للخلاص وينال الغفران .

(2) إبليس عباس محمود العقاد ٣١٢ .وانظر ص ٣١٩ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد م/ ١٢ (العقائد والمذاهب) دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ ٢ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م . وانظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد ٧٠ ،

الخطيئة المسيحية من أساسها ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٨،٣٩)، ولا يرىٰ الإسلام أي إنسان مسئولاً إلا عن خطئه هو ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤) ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٣٩) ومن ثمَّ فإن عقيدة الإسلام لا تترك لما سماه كيركجور بالقلق الموضوعي سبيلاً إلىٰ المسلم .

يقول العقاد :" ليست الخطيئة في الإسلام أصلاً كونيًا يعاند الإرادة الإلهية بإرادة مثلها ، أو مقاسمة لها في أقطار الوجود العليا والسفلىٰ ، ولكنها اختلاس وخلل وتقصير ، وله علاجه من عمل العامل نفسه بالتوبة والهداية بالتكفير والجزاء ، ولما كانت فضيلة آدم علىٰ الملائكة والجن أنه تعلم الأسماء التي لم يتعلموها ؛ كانت هدايته إلىٰ التوبة كذلك بكلمات من المعرفة الإلهية ، ولم تكن بشيء غير عمله وقوله ".(١)

كذلك إذا كانت العقيدة المسيحية ـ وخاصة علىٰ المذهب البروتستانتي ـ قد أيأست كيركجور من غفران خطاياه الذاتية فعانىٰ ويلات ما سماه بـ(القلق الذاتي) ؛ فإن خطايا الإنسان الذاتية في عقيدة الإسلام يمحوها الله بالتوبة النصوح ؛ فالله قد فتح أمام الإنسان باب التوبة إذا أخطأ ليعود إلىٰ رشده ويتوب إلىٰ ربه، وهو سبحانه يغفر للمسيئين والمخطئين ما داموا لا يصرون علىٰ الإثم؛ يقول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا

=

٧٣. دار الهلال ١٩٦٩م وانظر : موسوعة بيان الإسلام الرد علىٰ الافتراءات والشبهات ، القسم الأول : القرآن . المجلد العاشر ج١٦ ص٢١٠.

(١) إبليس : ٣١٩.

فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران :١٣٥، ١٣٦) ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان :٧٠) ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ (الزمر ٥٣.) ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء ٤٨)﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣) وقال ﷺ: « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (١) «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» (٢)، فأين يطارد العذاب والقلق نفوس الناس والله تبارك وتعالىٰ يلقاهم بهذا العفو !!

يقول أحد الباحثين:" عشت كثيراً مع آيات التوبة في القرآن الكريم فكانت واحة فيحاء...ترد اليأس عن النفس، وتفتح أمامها أبواب الرجاء، وتتعامل معها في إيقاعات مؤثرة من تحذير من النسيان ، إلىٰ ترهيب من سوء العاقبة ..إلىٰ ترغيب في حسن الثواب ...ثم بيان للفضل الإلهي العظيم ، ولعلك تحس اليد الحانية تمسح علىٰ رأس المذنبين ، والبسمة الرقيقة تفتح لهم أبواب الأمل حين تقرأ قوله تعالىٰ:﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ

---

(١) سنن ابن ماجة ت/ شعيب الأرنؤوط وآخرون ج٥/ ٣٢١كتاب الزهد باب ذكر التوبة حديث رقم :٤٢٥١ دار الرسالة العالمية ط/ ١٤٣٠،١ه٢٠٠٩ م .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ،ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، ج٤/ ٢١٠٦، كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة حديث رقم / ٢٧٤٦. دار إحياء التراث العربي بيروت .

تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام :٥٤). (١)

وإذا كانت العقيدة المسيحية لم تقنع عقل كيركجور وأشعرته بالقلق نحوها حتىٰ جعل الإيمان أمراً قلبيًا محضًا فإن " الإسلام يخاطب العقل ، ولا يقصر خطابه علىٰ الضمير أو الوجدان ، وفي حكمه أن النظر بالعقل هو طريق الضمير إلىٰ الحقيقة ، وأن التفكير باب من أبواب الهداية التي يتحقق بها الإيمان ﴿(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ (سبأ :٤٦) ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(البقرة : ٢١٩) وما كان الشمول في العقيدة ليذهب فيها مذهبًا أبعد وأوسع من خطاب الإنسان روحًا وجسداً وعقلاً وضميراً بغير بخس ولا إفراط في ملكة من هذه الملكات ". (٢)

إن " المسلم الكامل رجل نير الذهن والقلب معًا ، حاد البصر والبصيرة جميعًا ، تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته لله ومعاملته للناس ؛ فلا تدري أيهما أسبق ؛ صدق أدبه أم حسن معرفته ؟ ولا تدري أيهما أروع ؟ خصوبة نفسه الجياشة ؛ أم فطانة عقله اللماح ؟ وهذه الصفات من طبيعة الإسلام نفسه ؛ فهو دين يبني عقائده من ناحية الصحة العقلية علىٰ أسس فكرية تشبه البديهيات في علوم الرياضة من حساب وجبر وهندسة ، والركائز العقلية لهذا الدين ثابتة فيما شرع من معاملات عامة ، وفيما يعرض لها من مشكلات متجددة ، وإلىٰ جانب هذا فالإسلام دين عبادة تقوم علىٰ سلامة القلب وشحنه بالإخلاص والمحبة والأدب... وسيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه مثل لهذا الازدواج بين يقظة القلب واللب والتقائهما في سلوك واحد .

---

(١)الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام ،محمد عبد الرحمن ص: ٥ ،دار البشير القاهرة.

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ٢٥، ٢٦.

ودين الإنسان ينقص بقدر ما يصحب عاطفته الحارة من نقص علمي أو عجز فكري ... وإن العقل للإيمان كالبصر للسائر هيهات أن يرشد سيره إذا فقده".(١)

يقول أحد الباحثين عن القرآن إنه:" يغوص بنا إلىٰ أعماق موغلة في الإنسان لنصغىٰ معًا لأخفىٰ أنات روحه ، وأوهن أوجاع قلبه...وهو يسمو بوجداننا فوق العقل ؛ إلا أنه يظل يذكرنا بأنه ـ أي العقل ـ معراجنا مع الوجدان في هذه الفوقية ، ويخترق بنا آماد الزمان والمكان حتىٰ لنكاد نشعر بأمواج الأبدية وهي تضرب شواطئ أرواحنا وتنساب إلىٰ دواخلنا ، وفي برزخ بين أن نكون بشرا سويا أو لا نكون ، يوقفنا القرآن لنرىٰ رأينا ونحزم أمرنا ...وهو العقل المبعوث به لجنون كل الأعصار ، وشعاع الروح الأزلي فوق ظلمات القلوب والنفوس ".(٢)

كذلك إذا كانت عقيدة الرهبنة المسيحية الكنسية قد اعتبرت ميول الإنسان الفطرية رجسًا ودنسًا وعلاقاته الجنسية قذراً ووسخًا وشعوره بذاته إثمًا وخطيئة ؛ فظهر القلق في حياة كيركجور وفكره كأثر من آثار هذه العقيدة (عقيدة الرهبنة) ؛ فإن" أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري علىٰ ما هو عليه ؛ فلا يبدل فطرته ، ولا يحاول أن يقسره علىٰ ما ليس من طبيعته ". (٣)

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام بحث في الخلق والسلوك والتصوف ، الشيخ / محمد الغزالي ص٩ نهضة مصر الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.

(٢) أضواء قرآنية في سماء الوجدان محمد فتح الله كولن ترجمه عن التركية أورخان محمد علي ،ص٥من تقديم الكتاب ،دار النيل للطباعة والنشر ، ط/ ٢ ١٤٢٦ه ، ٢٠٠٦م .

(٣) دراسات في النفس الإنسانية ٦٩ .

إن أبرز ما في الكيان البشري أنه كيان مزدوج الطبيعة ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(ص: ٧٠، ٧١) فالإنسان قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ؛ ولكن " هذا الكيان مع ازدواجه ليس مكونـًا من عنصرين منفصلين يعمل كل منهما وحده في اتجاه ، إنه ليس جسمـًا وروحـًا منفصلين ... النفخة العلوية التي أعطت للإنسان روحه وهي قبسة من روح الله لم تظل عنصراً منفصلاً عن الكيان المسوىٰ من الطين ، ولم تتحيز في حيز معين منه ، وإنما سرت فيه كله من أوله إلىٰ آخره ، وشملت كل كيانه فأصبح كيانـًا جسميـًا وروحيـًا في ذات الوقت ، لا ينفصل فيه عنصر عن عنصر ، ولا يستقل فيه كيان عن كيان ، إنه لم يعد طينـًا بحتـًا ، ولا يمكن أن يعود كذلك ، ولا هو أيضـًا روح بحت ، ولا يمكن أن يكون . فالعنصران مختلطان ممتزجان مترابطان يتكون منهما كيان موحد مختلط الصفات أو مزدوج الصفات ، وتلك حقيقة كبرىٰ في الكيان البشري تنبني عليها كل أعمال الإنسان ومشاعره وتصرفاته في الحياة ".[1]

فـ" الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا هو بالحيوان ، وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان ، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلىٰ مستوىٰ الملائكة من الطهر ، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل علىٰ استعداد للخير كما هو مشتمل علىٰ استعداد للشر ، وليس أي العنصرين غريبـًا عن طبيعته ولا مفروضـًا عليه من خارج نفسه ، وهو يشمل نوازع فطرية تربطه بالأرض ، لأن الحياة في أهدافها العليا لا تتحقق بغير وجود هذه النوازع قوية ملحة يتعذر الفكاك من عقالها، ولكنه يشمل في الوقت ذاته نزعة فطرية أيضـًا تهدف به إلىٰ الارتفاع والسمو،

---

(١) دراسات في النفس الإنسانية ٤٧.

ومحاولة الانطلاق ولو قليلاً من روابط الأرض، والإغراء بالهبوط كالإغراء بالصعود كلاهما يتلقىٰ استجابة طبيعية من الفرد ؛ لأن فيه استهواء لهذا وذاك ، وبعض الأفراد يكون استهواؤهم للشر أكبر، وبعضهم يكون استهواؤهم للخير أشد؛ ولكن الغالبية العظمىٰ تقع في الوسط، أو هي ـ لنكون أكثر واقعية ـ أميل إلىٰ الهبوط والاستجابة لنوازعها الفطرية الأرضية ، وإن كانت في ذات الوقت لا ترفض الاستجابة إلىٰ دافع التسامي حين يعرض لها أو توجه إليه . والغاية العليا للإسلام هي إيجاد التوازن في نفس الفرد"(1) " ، ووسيلته في ذلك أن يمسك بالإنسان من خيط الصعود ليساعده علىٰ موازنة الثقل الذي يجذبه إلىٰ الأرض ، ولكنه لا يعنف في جذبه إلىٰ أعلىٰ حتىٰ يمزق أوصاله أو يقطع ما بينه وبين الأرض من صلات؛ لأنه حين ذلك يفقده التوازن المنشود ، والإسلام يكره فقدان التوازن ولو إلىٰ أعلىٰ ؛ لأنه يحرص علىٰ أهداف الحياة العليا التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض، وكل ما يعمله ويهدف إليه هو تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوازعه ؛ حتىٰ ترتفع الحياة كلها وتصبح كريمة جميلة ، خليقة بمعنىٰ التكريم الذي أسبغه الله علىٰ الإنسان ، ومن هنا يقول الرسول الكريم صلىٰ الله عليه وسلم : « لا رهبانية في الإسلام ». فالرهبانية في نظر أصحابها ارتفاع بالحياة عن نوازع الجسد ، وتطهير للروح لتكون خليقة بالدخول في ملكوت الله ، ولكنها في نظر الإسلام اختلال غير متوازن ؛ يعطل أهداف الحياة ، ويعذب الفرد في سبيل هدف ، مهما يكن نظيفـًا في ذاته فهو غير عادل بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة ".(2)

---

(1) الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب ٦٩،٧٠ دار الشروق الطبعة العاشرة ١٤٠٩ ، ١٩٨٩م .

(2) الإنسان بين المادية والإسلام ٧٠.

يقول العقاد : " الإيمان بالروح لم يفرض علىٰ العقل البشري في القرآن الكريم نقيضة من النقائض التي تشطره بين ضدين متدابرين ، ولم يفصم النفس البشرية بفاصم من الحيرة بين الخلقتين؛ خلقة الإنسان روحاً مجهول القوام ، وجسداً معروف المطالب والغايات ، محسوس اللذات والآلام ، فالروح والجسد في القرآن الكريم ملاك لذات الإنسانية ، تتم بهما الحياة ، ولا تنكر أحدهما في سبيل الآخر ، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقاً ، ليوفي حقوق الروح ، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقها ليوفي حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الإسراف " .[1]

فالإسلام يبيح لأتباعه نشاطهم الحيوي المشروع ؛ يبيح لهم شهوة الطعام وشهوة الجنس وشهوة الاستمتاع بطيبات الحياة ، يبيحها لهم صراحة في غير مواربة ولا لبس ؛ بل يدعوهم دعوة قوية صريحة إلىٰ هذا الاستمتاع ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف: ٣٢) ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة :١٧٢)﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾(القصص ٧٧)[2] وقد روي في الحديث الشريف " جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي صلىٰ الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها . فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال :" أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ لكني

---

(١) الإنسان في القرآن الكريم عباس محمود العقاد ٣١، ٣٢الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

(٢) انظر : الإنسان بين المادية والإسلام ٧٣.

أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ."(١)

ففي الإسلام حين يحس الفتىٰ المراهق بالرغبة في الجنس الآخر لن يشعر بالإثم من مجرد إحساسه بالرغبة فيه ، وليس مطالباً بأن يستعيذ بالله من مجرد هذا الإحساس ؛ ولا أن يكبت الشعور بهذه الرغبة لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه ونظر الله ، ومن ثم لا ينتابه القلق من الجنس ؛ فالإسلام يقرر له في صراحة تامة أن هذا أمر طبيعي لا خلاف عليه ولا نكران له ، طالما سيقع في إطاره المشروع ، لكن الإسلام في ذات الوقت لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الجنسي حسبما اتفق ، وفي أي صورة من الصور، وإنما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحاً في داخلها محرماً فيما وراءها ؛ وإذا تم بهذه الصورة كان له فيه أجر . فعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : « ....وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».(٢)

إن فقدان الثقة والقلق والتمزق إنما ينتاب الإنسان حينما يتوزع بين حياة الروح وحياة الجسد ، ولا تكون الطمأنينة إلا بالموازنة والتكامل الذي يرسمه الإسلام . فالإسلام لا يعطي كل جانب من الإنسان غذاءه فحسب؛ بل يعطيه إياه كذلك بالقدر المضبوط الذي لا يجيعه ولا يتخمه، ومن ثم ينطلق الإنسان

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن حجر العسقلاني كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح حديث رقم ٤٧٧٦ دار الريان للتراث ١٤٠٧ه ،١٩٨٦م.

(٢) صحيح مسلم ج٢ / ٦٩٧ك/ الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل لون من المعروف ،ح / ١٠٠٦.

وقد أخذ حظه من الغذاء الصالح، بمقاديره الصالحة، نشيطًا منتجًا متحركًا علىٰ الدوام. وما من نظام آخر يعالج النفس البشرية بهذه الدقة وذلك الشمول.(١)

وإذا كانت العقيدة المسيحية لم تجب كيركجور إجابات شافية عن سبب وجوده وغايته مما أدىٰ به إلىٰ تلك الفلسفة التشاؤمية التي رأت في الإنسان كائنـًا قذف به في هذا العالم رغمـًا عنه ، ويعيش حياته يحمل الخطيئة في جوهره كأنها الشوكة في لحمه ، يحيط به القلق علىٰ مصيره والخوف مما يتهدده ، ويترصده الموت ليقضي علىٰ وجوده ، ولا يستطيع أن يعيش إلا في الخطر وبالمخاطرة ؛ لحمة حياته الآلام ، وسداها المخاوف .(٢)

إن المسلم يستطيع أن يستخلص أصول المسائل المتعلقة بالإنسان وحياته كماهيته ومكوناته والحكمة من خلقه وبيان الغرض من الحياة الدنيا ، ومسألة الخير والشر ، ومدىٰ حرية الإنسان في الفعل ...إلخ ، فكل هذه الأمور موضحة في الإسلام ، ومبنية علىٰ أسس تبعث الطمأنينة لا القلق ، وتشيع في النفوس الأمل لا اليأس والتشاؤم.

لقد بين الإسلام للإنسان من أين جاء؟ ولم جاء؟ وإلىٰ أين يذهب؟ وما سرُّ حياته؟ ولماذا يموت؟ ثم إلىٰ أين ينتهىٰ؟ وما مصيره؟

يقول الدكتور محمد شوقي الفنجري عن الإسلام: " أنه الوحيد بين كل الأديان والنظم الوضعية كافة الذي يجيب بكل وضوح وإقناع علىٰ ذلك السؤال الأزلي الذي تاهت فيه الأفهام ، وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك ، وهو: لماذا خلقنا وإلىٰ أين المصير؟ بقوله تعالىٰ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ج١/ ١٩ دار الشروق ط/ ١٦.

(٢) انظر : دراسات في الفلسفة الوجودية ٢٧.

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون :١١٥) ...لقد جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ونيف ، وحدد مهمة ورسالة الإنسان بأنه مستخلف من الله في أرضه بقوله تعالىٰ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة :٣٠) وقوله تعالىٰ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ (الأنعام : ١٦٥) والخلافة لغة هي النيابة والوكالة. وهي شرعـاً حمل الأمانة والتكليف بإقامة حكم الله في الأرض...وخلافة الإنسان شأن كل شيء ، وشأن كل تفويض أو تكليف لها وجهان؛ الوجه الأول : هو العلاقة بين الإنسان وخالقه ؛ وهي علاقة عبودية لله والالتزام بمنهجه ، بقوله تعالىٰ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات :٥٦) والوجه الثاني : هو العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه الله عليه ؛ وهي علاقة سيادة علىٰ الأرض وتعميرها بقوله تعالىٰ ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾... أي كلفكم بعمارتها ، ووسيلة الإنسان لتحقيق العبودية هي الدين والإيمان ، ووسيلته في تحقيق السيادة علىٰ الأرض هي العلم والعمل ، فالإيمان والعلم هما مقوما الخلافة ، وهما في الإسلام متوافقان ومتكاملان وضروريان لتحقيق رسالة الإنسان، وليس بينهما ـ شأن المذاهب الوضعية ـ أي تعارض أو انفصام ." (١)

إن الإنسان في عقيدة الإسلام لم يخلق عبثاً ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ (المؤمنون :١١٥) ،ولم يترك سدىٰ،﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًىٰ ﴾ (القيامة: ٣٦) وإنما خلق لغاية وحكمة ، لم يخلق لنفسه ، ولم يخلق ليتمتع كما تتمتع

(١) جدلية الإسلام د/ محمد شوقي الفنجري ص٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .العدد ١١٣ من سلسلة قضايا إسلامية تصدر عن المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية رجب ١٤٢٥ ه، ٢٠٠٤م .الطبعة الثانية وانظر : الإنسان ومشكلات الحضارة سيد قطب ص٢٦ والمصدر نفسه ٤٢ .ط/ ١٣، دار الشروق .

الأنعام ، ولم يخلق ليعيش هذه السنيين التي تقصر أو تطول ثم يبلعه التراب ويأكله الدود ويطويه العدم ، إنه خلق ليعرف الله ويعبده ويكون خليفة له في أرضه، خلق ليحمل الأمانة الكبرى في هذه الحياة القصيرة أمانة التكليف والمسئولية فيصهره الابتلاء وتصقله التكاليف، وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء والأبد الذي لا ينقطع .

هذه هي العقيدة الإسلامية في مواجهة العقائد المسيحية التي كانت السبب الرئيس فيما أصاب كيركجور من قلق واكتئاب ، أما عن الرؤية الإسلامية الخالصة لشعور (القلق الإنساني) فإننا نجد القرآن الكريم يعبر صراحة على أن القلق في الإنسان أمر طبيعي في السراء والضراء والخير والشر ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج : ١٩ ،٢٠) لكن الإسلام لا ينظر إلى القلق باعتباره الشعور الأنطولوجي الرئيس كما كانت رؤية كيركجور وكثير من الوجوديين من بعده ؛ بل القلق شعور ضمن مشاعر أخرى كثيرة ركبها الله في الطبيعة الإنسانية ، كلها سواء في الأهمية ؛ فمشاعر الإنسان وعواطفه رغم كثرتها واختلافها وتقابلها تؤدي في مجموعها مهمة ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما هي أوتاد متفرقة متقابلة تشد الكيان كله، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط .(١)

إنه إذا كان الإنسان ـ كما وضحنا ـ تفرد عن جميع مخلوقات الله بازدواج طبيعته ، فإن هذا الازدواج هو طابع كيانه كله ، ومتغلغل في كل جوانبه ؛ فلا يوجد عمل ولا شعور ولا فكر ولا تصرف إلا وتبدو فيه هذه الظاهرة المميزة له ؛ ظاهرة الازدواج . يقول محمد قطب : " من عجائب التكوين البشري تلك الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية، كل اثنين منها متجاوران في النفس، وهما

---

(١)انظر: منهج التربية الإسلامية ج١/ ١٢٦.

في الوقت ذاته مختلفان في الاتجاه: الخوف والرجاء.. الحب والكره.. الاتجاه إلىٰ الواقع والاتجاه إلىٰ الخيال.. الطاقة الحسية والطاقة المعنوية.. الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس.. حب "الالتزام" والميل للتطوع.. الفردية والجماعية..السلبية والإيجابية.. إلخ. كلها خطوط متوازية ومتقابلة".[١]

ولكن مع اعتراف الإسلام بوجود هذه الخطوط وتقابلها أو جدليتها في النفس البشرية ؛ بل اعتباره الثنائية أو الزوجية واحدة من سنن الله في الكون كما تصرح الآية الكريمة ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات :٤٩) فإن موقفه منها ليس موقف التصارع وتغليب إحداها علىٰ الأخرىٰ ؛ بل توظيف هذا التناقض أو الجدلية لصالح الإنسان ، وذلك بتحويله من الصراع إلىٰ التكامل ، ومن التطرف إلىٰ التعاون والتوازن دونما طغيان لشعور أو عاطفة أو جانب علىٰ ما يقابله . [٢]

إن " مزية الإسلام- في مسايرته للفطرة- أنه لا يترك وترًا من أوتار النفس لا يوقع عليه. ثم هو لا يوقع علىٰ وتر أكثر من طاقته، أو يبخسه قدره فلا يوقع عليه ما يستحق من نغمات! وبذلك يشمل الكيان الإنساني كله، وفوق ذلك يحدث التوازن في داخل النفس بشدها إلىٰ أوتادها جميعًا ؛ فلا تميل من هنا ولا تميل من هناك، والتوقيع علىٰ أوتارها جميعًا ؛ فلا تنطق من جانب وتظل في الجانب الآخر صماء!"[٣]

---

[١] المصدر نفسه ١/ ١٢٦.

[٢] انظر جدلية الإسلام : ص٤ ، ١٠ ، ١٧ ، ٤٥وما بعدها .

[٣] منهج التربية الإسلامية ج١/ ٢١٢٧.

ولنعرض لخطي الخوف والرجاء لنبين كيف يحقق الإسلام للذات الإنسانية توزانها باعتماده عليهما معاً : إن " الخوف والرجاء خطان متقابلان من خطوط النفس ، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه ؛ إن النفس بطبيعتها لتخاف وترجو ، هكذا ركب في فطرتها ، يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاوران ؛ يخاف الظلمة ويخاف الوحدة ويخاف السقوط ويخاف الاصطدام ويخاف المناظر التي لم يألفها والأشخاص الذين لم يألفهم ، ويرجو ... يرجو الأمان والراحة والدفء والاستقرار في حضن أمه وهو يرضع، ..وينمو الطفل وينمو معه هذان الخطان المتقابلان. وتتنوع المخاوف ويتنوع الرجاء، ولكن الخطين هما هما في تقابلهما وازدواجهما...يحددان له مشاعر الحياة واتجاهاتها. يخاف الموت، ويخاف الفقر، ويخاف العجز، ويخاف الخيبة، ويخاف الخزي، ويخاف الألم الحسي والمعنوي، ويخاف المعلوم، ويخاف المجهول. كلها مخاوف. كلها أنغام مختلفة تصدر عن هذا الوتر الواحد الذي يعتبر -كزميله المقابل له- أقوىٰ الأوتار و"أوسعها" من القمة إلىٰ القرار".(١)

والخوف والرجاء بقوتهما تلك ، وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه، يوجهان في الواقع اتجاه الحياة، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره. فعلىٰ قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف. وعلىٰ قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو. يتخذ لنفسه منهج حياته، ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف ، الذي يخاف الموت لا يقدم ، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال. والذي يخاف السلطان يتحاشىٰ كل عمل يعرضه للصدام. والذي يخاف الألم أو الهزيمة يفر من المعركة.. معركة الحياة الكبرىٰ ، وينحسر

(١) المصدر السابق ج١/ ١٢٧.

بنفسه عن المغالبة والاقتحام. والذي لا يخاف شيئًا من هذا كله فهو متحرر منه، طليق من ضغطه عليه، مقتحم متمكن غلاب. والذي يتطلع إلىٰ الجاه والسلطان والمكانة والغنىٰ والنعيم ... يرسم أهدافه علىٰ أساس ذلك، ويتخذ الوسائل التي توصل لما يريد. " (١)

فـ" الخوف والرجاء يؤديان مهمة رئيسية في حياة الإنسان فكل منهما لازم للحياة لا تستقيم بدونه النفس ، ولكن علىٰ شرط أن يكون كل منهما في وضعه الصحيح ويؤدي مهمته الصحيحة . الخوف مهمته الأولىٰ صيانة حياة الإنسان من الخطر والتلف اللذين يمكن أن يقضيا عليه لو لم يكن في تركيبه هذا الشعور الفطري بالخوف ، ولكن حين ينحرف خط الخوف عن مساره فإنه هو ذاته يعرض الإنسان للتلف والبوار ...كذلك فالشخص الذي ينقص الخوف في نفسه عن مقداره الطبيعي قد يبدو جريئًا مقدامًا ولكنه في الحقيقة متبجح معتد أثيم لأنه لا يخاف ...وحين ينقص الرجاء عن معدله الطبيعي يصبح الشخص متشائمًا والحياة في عينيه قاتمة ...وحين يزيد عن معدله الطبيعي يصبح خيالاً أجوف وأحلامًا فارغة ".(٢)

ولذا فإن " الإسلام يعمد إلىٰ خطي الخوف والرجاء، فينفض عنهما أولًا كل خوف فاسد وكل رجاء منحرف، ثم يعمد إليهما بعد ذلك فيوقع عليهما الإيقاع الصحيح الذي يصدر عن نفس بشرية سوية ينبغي لها أن ترجو وينبغي لها أن تخاف.

ينفض من وتر الخوف أولاً كل ما يرهق كاهل البشر من مخاوف زائفة.. زائفة لأنه لا طائل وراءها. لا تقدم ولا تؤخر. ولا تغير شيئًا من واقع الأمر!.

---

(١) منهج التربية الإسلامية ج١/ ١٢٨ .دراسات في النفس الإنسانية ٧٦، ٧٧.

(٢) دراسات في النفس الإنسانية ٢٨٦ إلىٰ ٢٨٩.

ينفض عنه الخوف من الموت! إذ إنه...ما قيمته؟ هل يؤخر الأجل، أو يغير المكتوب؟ كلا! وما دام لا يغير شيئًا من الواقع فهو إذن أمر لا يليق ؛ إنه تبديد للطاقة وتدمير للكيان بلا نتيجة ، لذلك يكرر القرآن هذه الحقيقة في صور شتىٰ ، وإيقاعات متنوعة:﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾(ق:٤٣) ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾(المنافقون:١١)﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(أل عمران: ١٨٥) والحذر لا يجدي ولا يغير شيئًا من واقع الأمر:﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾(النساء: ٧٨) ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾(آل عمران ١٥٤)".(١)

وإذن فالخوف من الموت أو القلق من تناهي الموجود البشري كما قرر كيركجور والوجوديون من بعده وعلىٰ رأسهم هيدجر لا طائل من ورائه ؛ فهو كنغمة نشاز في نظر الإسلام تصدر عن وتر الخوف حين يتوتر أكثر مما ينبغي، ويوشك أن ينقطع من شدة الإيقاع!

كذلك ينفض الإسلام عن الإنسان الخوف علىٰ الرزق : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾(يونس :٣١) ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر :٣)﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾(الملك :٢١) ﴿ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾(الرعد:٢٦)﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾(العنكبوت :١٧)..إلخ، **وكذلك الخوف من أذىٰ الناس ومن أي ضرر توقعه بالإنسان قوىٰ الأرض:**﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ (الأعراف:١٨٨) ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة :٥١) ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

(١) منهج التربية الإسلامية ج١/ ١٢٩ .

اللهِ﴾(النساء :٧٨)﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ (المائدة:٧٦) ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (فاطر:٢) ...وغيرها .(١)

بالإضافة إلىٰ ما سبق فالإسلام يقدم الدعم الكامل للإنسان أثناء مهمة اتخاذ القرارات فيقي الإنسان مما أطلق عليه كيركجور (دوار الحرية) وذلك من خلال مفاهيم الإيمان بالله والالتجاء إليه والتوكل عليه والاستعانة به سبحانه وتعالىٰ أثناء اتخاذ القرار ثم الرضا بالقضاء وما كتبه الله للإنسان بعد ذلك .

فأثناء اتخاذ القرارات يجب علىٰ المسلم أن يؤمن بالله ويتوكل عليه ويستعين به سبحانه ويعتصم به ويتحصن بحصنه الحصين، آملاً في فضله،راجياً رحمته ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢- ٣)﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة: ٥) ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾(هود:١٢٣) ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشوري: ١٠) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٧).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ

(١) انظر : المصدر السابق ج١/ ١٣٠، ١٣١ .

يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».(١)

ومن مظاهر التوكل علىٰ الله والاستعانة به سبحانه في مواقف اتخاذ القرار في الإسلام صلاة الاستخارة فقد روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: " إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي"قَالَ: «وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».(٢)

ولا شك أن " المتفائل من ذوي الإيمان ينظر إلىٰ الأشياء بمنظار طبيعي؛ فهو لا يبالغ في تقدير العواقب ، مبالغة من يتوقع الشر، فيظل عابس الوجه منقبض الأسارير ؛ ولكنه يزن كلاً بميزانه الطبيعي ، معتقداً أن الله عز وجل قد جعل لكل ضيق فرجا ، ولكل كرب مخرجا ، ولكل عسر يسرا ، وليس معنىٰ

---

(١) سنن الترمذي محمد بن عيسىٰ الترمذي ت/ أحمد شاكر وآخرون ج٤/ ٦٦٧، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع .ح/ ٢٥١٦ مصطفىٰ البابي الحلبي مصر ط/٢، ١٣٩٥ه ١٩٧٥م

(٢) صحيح البخاري ك/ الصلاة ،باب ما جاء في التطوع مثنىٰ مثنىٰ ح/ ١١٠٦.

ذلك أنه لا يفكر في متاعب يومه وأعباء غده ؛ بل معناه أن يضع كل عقبة تعترضه موضعها الطبيعي دون مبالغة أو تزيد ، ثم يبحث عن الحل المناسب في هدوء وثقة، فإذا كانت النتيجة سارة مرضية شكر الله وابتهج ، وإذا جاء الأمر علىٰ غير ما يود بعد أن بذل جهده الطبيعي في التذليل فقد ادخر كفاحه عند ربه وله أجر الصابر".(١)

أما كيركجور فإنه بحصره نفسه في قطيعة أنطولوجية يتحمل فيها عبء وجوده وقلقه علىٰ جميع الإمكانيات ومنها ؛ أصبح ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢) ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(النور: ٤٠).

كذلك فإنه بعد اتخاذ القرار نجد العقيدة الإسلامية تبعث في نفس الإنسان الثقة والاطمئنان من خلال الرضا بالقضاء والقدر ، فالرضا بما كتبه الله علىٰ الإنسان هو أساس السعادة والاطمئنان في هذه الدنيا ، وهو المعنىٰ المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(الحديد:٢٣) ، وقوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنه:« واعلم أَن ما أَخطأَك لم يكن ليصيبك ، وما أَصابك لم يكن ليخطئك».

يقول الدكتور رجب البيومي في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾ (التوبة ٥١) : " نص قرآني يبعث الاطمئنان الواثق في قلب المؤمن الصادق ؛ إذ يعتقد أن الخيرة كل الخيرة فيما كتب الله عليه ؛ فإذا لقي خيراً فالسعادة واضحة لا التباس في شأنها ، وإذا لقىٰ شراً ظاهرياً فهو ابتلاء دنيوي يمحص الله به عباده ، ونقول شر ظاهري لأن نظرات الناس لا تصيب التحليل

(١)من القيم الإنسانية في الإسلام للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الجزء الثاني١٥٢ هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر ذي القعدة ١٤٢٨ه

الصادق ـ غالبـاًـ فيما يفاجئها من أحداث؛ إذ يتضمن الشر في لفائفه كثيراً من الخير المستتر ، وكم وقعت كارثة ظنها الإنسان ماحقة كاسحة ، ثم تكشف الأيام عن بذور خير نبتت في أرض المصيبة ، فاستطال جذعها وأورقت وأثمرت كل جميل ، فكلا الخير والشر مكسب أكيد للمؤمن الواثق بلطف الله ، وحسن اختياره لما ينزل بعباده من بأساء ونعماء ، ولا كذلك الجاحد المعاند ؛ الذي يستشعر القلق في كل وقت ، ويتشاءم بكل حدث تنبئ ظواهره عن الشر ، لأنه حرم الرجاء في ربه ، فسُدَّت في وجهه السبل وضاقت عليه الأرض بما رحبت ".(١)

وهكذا يتناول القرآن كل المخاوف البشرية الزائفة واحداً واحداً فيفضها عن النفس ويرفع عنها إصرها، ليطلقها تواجه الحياة قوية عزيزة متمكنة متطلعة ، مطمئنة إلىٰ قدر الله.

ثم إن الإسلام يمسك وتر الخوف- الفطري في النفس البشرية- فيوقع عليه نغمة الخوف الأصيلة التي ينبغي أن تصدر عن هذا الكيان ؛ إن قوىٰ الأرض كلها لا تخيف -أو لا ينبغي أن تخيف- لأنها قوىٰ مسخرة ؛ لا تُستَمد من نفسها، ولا تملك لنفسها ضرّاً ولا نفعـاً، والقوة التي ينبغي أن تُخاف حقّاً هي القوة التي بيدها كل شيء.هي المانحة حقـاً والمانعة حقّـاً. وإذن فخوفها هو الخوف الواجب. وخشيتها هي السبيل. فالخوف ينبغي أن يكون من الله ، ومما يخوف به الله﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥) ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام :١٥) ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ (المائدة:٩٤) ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور:٣٧) .

---

(١) من القيم الإنسانية في الإسلام ج٢/ ١٤٩، ١٥٠.

والرجاء كذلك. يستخدم الإسلام معه المنهج ذاته ليصل إلىٰ التقويم المرغوب.

يبدأ أولًا بتحويل الرجاء عن الآمال الكاذبة والقيم الزائفة، ليوجهه بعد ذلك إلىٰ القيم الحقيقية وإلىٰ الطريق الصحيح. يرجو البشر كثيراً من ألوان النعيم في الأرض؛ المال والبنين والشهوات والجاه والعزة والسلطان والقوة.. إلىٰ آخر أنواع المتاع الجسدي والنفسي ، والإسلام لا يحرم المتاع النظيف ولا يدعو إلىٰ الرهبنة والانصراف عن شئون الأرض، بل يدعو إلىٰ ذلك المتاع دعوة صريحة ويستنكر تحريمه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف:٣٢) ، ولكنه مع ذلك لا يحب للناس أن يوغلوا في طريق الشهوات فتفتنهم عن القيم الحقيقية الباقية الخالدة ، حين يزول متاع الأرض القريب ، ومن هنا يكرر في مواضع كثيرة أنه لا يحرم طيبات الأرض ولا يستنكرها، ولكن الباقيات الصالحات خير وأبقىٰ" .(١)

فالإسلام " يوجه القلب البشري -مع الاستمتاع بطيبات الأرض وتعميرها والمشي في مناكبها ابتغاء الرزق- ألا تفتنه هذه المتع الأرضية ولا تستغرق كيانه. ويوجهه أن يرجو -في الدنيا والآخرة- وجه الله، ويتطلع إلىٰ مثوبته ورضاه.

وكان عذاب الآخرة أوسع أبواب التخويف، فكذلك نعيم الآخرة أوسع أبواب الرجاء.

وما قيل عن العذاب هناك يقال هنا عن النعيم".(٢)

---

(١) منهج التربية الإسلامية ج١/ ١٣٥ .

(٢)المصدر السابق :ج١/ ١٣٩ .

إن مباحث الخوف والرجاء والجنة والنار والرحمة والغضب ترد متعاقبة وبصورة متوازنة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة ؛ فأنموذج الإنسان في الإسلام ليس ذلك الذي أصبح يائساً مشلول القوىٰ لا حراك له من شدة الخوف ، ولا ذاك الذي طغىٰ وتفرعن من شدة الأمل والرجاء .

من خلال ما سبق يتبين لنا في جلاء ووضوح وبكل موضوعية وحياد أن عقيدة الإسلام هي العقيدة التي تقنع العقل ، وتشبع العاطفة ، وتحقق الذات الإنسانية من خلالها توازنها المنشود ، وتحيا في ظلها آمنة مطمئنة ، لا تقلق علىٰ مستقبل ولا إمكان ، ولا تخشىٰ موتاً ولا عدماً ، لا تتحمل فيها وزر غيرها ، ولا تيأس من غفران ذنوبها ، كل سؤال يثيره العقل لها عليه جواب ، وكل مرض تكابده النفس له فيها علاج ، فلا تترك العقول حيرىٰ في استفهاماتها ، ولا النفوس هلكىٰ من أمراضها .

وإننا في نهاية دراستنا لنتوجه بالخطاب إلىٰ كيركجور في يقين واطمئنان قائلين:

حقا... كيركجور إن السبيل الوحيد الذي يتيح للإنسان أن يتخلص من التمزق واليأس والقلق الذي يكتنف حياته إنما يتم باللجوء إلىٰ الإيمان ؛ فالإيمان هو ملاذنا ومأوانا مما نكابده ونعانيه ، ولكن الإيمان ينبغي أن يكون إيماناً بعقيدة صحيحة يطمئن إليها القلب ويقتنع بها اللب.

فعفواً كيركجور: إنا عن ندائك راغبون ، فإذا كنت قد أسلمت عقلك لمتناقضات العقائد المسيحية ، وتنازلت طوعاً أو كرهاً عن راحتك النفسية وطمأنينتك القلبية فكبت ما فيك من نوازع فطرية ، وتركت من أحببتها استجابة لدعوة الرهبانية ، فإننا بعقيدتنا مقتنعون ، وبعقولنا فيها محتفظون ، ولطمأنينتنا وراحتنا النفسية محققون، ولحلول جميع مشكلاتنا واجدون ، ولغايتنا وهدفنا من الحياة عارفون مطمئنون .

الخاتمة

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بنعمة الإسلام فأذهب عنا القلق والحزن إن ربنا لغفور شكور ، وصلاة وسلامًا علىٰ من بعثه ربه بالقرآن هدىٰ ونوراً وشفاءً لما في الصدور، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلىٰ كل من اتبع هداه إلىٰ يوم الدين .

وبعد

فقد كان الهدف من هذه الدراسة إلقاء ضوءٍ تحليلي نقدي علىٰ فكر كيركجور في مشكلةٍ من أهم المشكلات التي تواجه الإنسان، ألا وهي مشكلة(القلق الإنساني).

وقد توصلنا في الجانب التحليلي من هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

أولاً : اتخذ القلق في فكر كيركجور طابعًا جدليًا ، وحمل دلالات فلسفية ونفسية ودينية ؛ **فقد** جاء القلق كشعور أنطولوجي يعكس الصراع والتوتر والتمزق الداخلي الدائم بين مكونات الذات الإنسانية المتناقضة ـ من وجهة نظره ـ النفس والجسد، المتناهي واللامتناهي ، الحرية والضرورة ...إلخ ، وارتبط من بين مكونات الذات بالروح خاصة ؛ فكان مظهراً من مظاهر الروح وملبيًا لمطالبها الأنطولوجية ، علىٰ حساب مطالب الجانب المضاد لها وهو الجسد .

ثانيًا : ربط كيركجور القلق بسيكولوجيا الحرية ؛ فالقلق هو (دوار الحرية) ؛ حيث يعتري الذات أثناء مواجهتها لمستقبلها المليء بالإمكانات . وهو بذلك يختلف عن الخوف من حيث عدم ارتباطه بشيء معين؛ فالقلق مواجهة الوجود من غير تعيين؛ ولذا كان موضوعه هو العدم .

ثالثًا :ربط كيركجور القلق كذلك بلاهوت الخطيئة ؛ فكان القلق هو الحالة النفسية للفرد التي تسبق وقوعه في الخطيئة ، كما كان نتيجة من نتائج الخطيئة أيضـًا ؛ فالإنسان الساقط يعيش حتمًا في ظل القلق . وقد فرق كيركجور هنا بين قلق موضوعي وقلق ذاتي ؛ وأشار بالأول إلىٰ تأثير خطايا الجنس البشري علىٰ الفرد ، وبالثاني إلىٰ تأثر الفرد واستجابته لهذا التأثير.

رابعـًا: جعل كيركجور من القلق الشعور الأنطولوجي الرئيس الذي يقود الإنسان أثناء رحلته للوعي بذاته وتحقيق وجوده الأصيل ؛ فإذا كان الوجود الإنساني الأصيل ـ من وجهة نظر كيركجور ـ هو وجود الإنسان كروح ؛ فإن القلق هو الذي يقود الذات في طريقها لتحقيق هذا الوجود . وقد رصد كيركجور للقلق أنواعـًا أو مراحل مختلفة أثناء هذه الرحلة ؛ جاء(قلق البراءة) أولها ، وهو قلق يبعثه الجهل ، وعدم وعي الذات بحقيقتها كروح ، والخوف من فقدان البراءة . يأتي بعد ذلك (القلق الأخلاقي) أو قلق الحرية المتعلق بعملية اختيار الذات ، وهو قلق يبعثه في نفس الإنسان ما تنطوي عليه الحرية من مخاطرة ،مع إمكانية الوقوع في الشر والخطيئة، بالإضافة إلىٰ ما يترتب علىٰ الحرية من عدم . وأخيراً يأتي (القلق **الديني**) **أو اللاهوتي** ؛ فعلاقة المؤمن بالله في صميمها علاقة ديالكتيكية لا تخلو من صراع ومجاهدة وقلق يبعثه ما تطلبه الحياة الدينية ـ ـمن وجهة نظره المتأثرة بعقيدته المسيحية ـ من الابتعاد عن عالم الطبيعة والزهد في كل متعة وغاية أرضية نسبية ودخول عالم الروح ، وهو عالم يموج بالفتن والمحن والاختبارات .

خامسـًا : جاء القلق في فكر كيركجور كشعور ديالكتيكي إيجابي ، يمثل مشكلة وحلاً في آن معـًا ؛ فالقلق هو الذي قادنا للخطيئة وجعلنا مذنبين ؛ وهو نفسه الذي يعيد إلينا البراءة ، ويقودنا إلىٰ الإيمان والاتحاد بالمطلق ، الذي

يمثل الاتحاد به الحل الأمثل لمعضلة الوجود البشري ، ومن هنا يوصينا كيركجور بتحمل القلق لا البحث عن وسائل لعلاجه والقضاء عليه .

أما في الجانب التقييمي النقدي من الدراسة فقد عرضنا تصورات وتحليلات كيركجور للقلق علىٰ ثلاثة موازين ؛ فلسفي ونفسي وديني ، وكانت نتائج التقييم كالتالي :

أولاً : في ميزان التقييم الفلسفي جاءت تصورات وتحليلات كيركجور للقلق متوافقة من جانب مع مبدأ الذاتية الذي انطلقت منه كل جوانب فلسفته ، فكان تصويره تصويراً دقيقـًا لتجربته الذاتية مع القلق ، ولكنه من جانبٍ آخر بمحاولته تعميم هذه التجربة قد ناقض نفسه ؛ حيث انتقل بذلك التعميم إلىٰ صعيد المفهوم والمذهب ، رغم معارضته الشديدة للتجريد والمذهبية .

ـ وفي ميزان النقد الفلسفي اتضح لنا أنه كان لفكر كيركجور شرف صون فردانية الإنسان وحريته والاهتمام بمشاعره وعواطفه وعلىٰ رأسها القلق، لكنه تطرف في مبدأ الذاتية تطرفـًا جعل فكره لا يرقىٰ في نظر بعض المؤرخين لمستوىٰ التفكر الفلسفي ، وتطرف كذلك في الاعتماد علىٰ الوجدان وخاصة وجدان القلق ؛ مما جعل فلسفته تأخذ طابعـًا لا عقليـًا تشاؤميـًا مغرقـًا في الكآبة والقلق والعدم .

ثانيـًا : في ميزان النقد النفسي تبين لنا أن كيركجور بتحليلاته النفسية بصفة عامة قد عدَّه الكثير من المؤرخين واحداً من كبار السيكولوجيين في العصر الحديث، وجعلوا لتحليلاته قيمة كبيرة في مجال علم النفس وعلوم أخرىٰ. لكنهم في ذات الوقت قد أبرزوا في تحليلاته النفسية للقلق خاصة كثيراً من أوجه الغموض والتناقض وعدم اتساق الرؤية ، ولعل أهم ما أخذ عليه في المجال النفسي تهويله المبالغ فيه من القلق بإزاء الحرية ؛ حيث حمل كيركجور عمليات الاختيار واتخاذ القرار أكثر مما تحتمل من القلق ، مع

الافتقار في الوقت ذاته لمبررات القلق من الأساس في ضوء المبادئ العامة لفلسفته .

كذلك تبين لنا في ميزان النقد النفسي عدم تقديم معطيات فكر كيركجور في القلق علاجـًا أو حلاً للمشكلة ، بل زادت الطين بلة ؛ فهولت من شأنها ، وقدمت فكراً متشائمـًا مغرقـًا في اليأس والقلق ، يصور الواقع مخاطرة ، و المستقبل عدمـًا .

ثالثـًا : **في ميزان النقد الديني** اتضح لنا أن كيركجور لم يكن موضوعيـًا مطلقـًا في اعتباره المسيحية النموذج الأصيل للوجود البشري ، والعلاج الأمثل لمشكلة القلق الإنساني ؛ فقد عجزت المسيحية عن أن تمنحه هو نفسه الطمأنينة والاستقرار النفسي ، ولم تجبه عما دار في خلده من أسئلة واستفهامات ؛ بل كانت المسيحية نفسها بعقائدها المتعارضة مع العقل المتنافية مع الفطرة ـ وخاصة عقيدتيها الخطيئة والرهبانية ـ هي التي أذكت النيران في صدر كيركجور ، وعملت على تقوية التوتر والتمزق الداخلي وازدياده حدة وعنفـًا . وقد تبين ذلك بالأدلة وبأقوال كيركجور نفسه.

وفي ميزان النقد الديني تبين لنا بكل حياد وموضوعية أن العقيدة الإسلامية في تكاملها وتناسقها وشمولها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة هي العقيدة التي تحقق للإنسان التوازن العقلي والنفسي ؛ وتراعي متطلباته المادية والروحية معـًا ، وتجيبه عن كل ما يعن له من أسئلة واستفهامات بأجوبة شافية ، ويجد فيها الإنسان الحل والعلاج لجميع مشكلاته وأمراضه النفسية برؤية صائبة تخلو من التناقض والارتياب ، تنزيل من حكيم حميد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا : كتب السنة :

ـ سنن ابن ماجة ت/ شعيب الأرنؤوط وآخرون دار الرسالة العالمية ط/ الأولىٰ ،١٤٣٠ه٢٠٠٩ م .

ـ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ،ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن حجر العسقلاني ،دار الريان للتراث ١٤٠٧ه ،١٩٨٦م.

ثالثًا : المصادر والمراجع :

ـ إبليس عباس محمود العقاد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد م/ ٢ (لعقائد والمذاهب) دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ ٢ ١٤٠٩ه ١٩٨٩م .

ـ أضواء قرآنية في سماء الوجدان محمد فتح الله كولن ترجمه عن التركية أورخان محمد علي ،دار النيل للطباعة والنشر ، ط/ ٢ ١٤٢٦ه ، ٢٠٠٦م .

ـ الإنسان يبحث عن المعنىٰ مقدمة في العلاج بالمعنىٰ ، التسامي بالنفس فكتور فرانكل ترجمة / د/ طلعت منصور مراجعة وتقديم د/ عبد العزيز القوصي دار القلم الكويت ، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٢ه، ١٩٨٢م.

ـ الإنسان ومشكلات الحضارة سيد قطب دار الشروق الطبعة الثالثة عشر .

ـ بين برجسون وسارتر (أزمة الحرية)حبيب الشاروني دار المعارف ١٩٦٣م .

ـ تطور الجدل بعد هيجل م/ ٣ جدل الإنسان د/ إمام عبد الفتاح ، دار التنوير ، بيروت ط/ ٣،٢٠٠٧م .

ـ الجانب العاطفي من الإسلام بحث في الخلق والسلوك والتصوف الشيخ / محمد الغزالي الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م نهضة مصر للطباعة والنشر.
ـ جدل العقل والوجود دراسة في فلسفة هيجل وكيركجور،علىٰ حنفي محمود ، تقديم د/ علىٰ عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥م.
ـ جدلية الإسلام د/ محمد شوقي الفنجري.العدد ١١٣ من سلسلة قضايا إسلامية تصدر عن المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية رجب ١٤٢٥ ه، ٢٠٠٤م .الطبعة الثانية .
ـ الحب في فكر سورن كيركجور ، شانتال آن ، ترجمة محمد رفعت عواد ، مراجعة/ إبراهيم فتحي المركز القومي للترجمة العدد ١٧٠٢،ط/١ ، ٢٠١١م.
ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد دار الهلال١٩٦٩م
ـ الحلم والواقع نيقولاس بردیائف،ترجمة / فؤاد كامل الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
ـ الحياة الكريمة بيرتون بورتو ، ترجمة د/ أحمد حمدي محمود.سلسلة الألف كتاب الثاني الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣م.
ـ الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام ، محمد عبد الرحمن عوض ، دار البشير القاهرة .
ـ دراسات في الفلسفة الوجودية عبد الرحمن بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط/ ١، ١٩٨٠م ١٤٠٠ه.
ـ دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤١٤ه، ١٩٩٣م .

ـ الزمان الوجودي عبد الرحمن بدوي ط/ ٣ دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٣م.
ـ سرن كيركجور،ج/ ١ حياته وأعماله د/ إمام عبد الفتاح ،دار التنوير، بيروت لبنان، ط/ ٢ ١٩٨٣م .
ـ سرن كيركجور رائد الوجودية د/ إمام عبد الفتاح كيركجور الجزء الثاني (فلسفته) . دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.
ـ سورين كيركيجارد تصوف المعرفة ، وليام هبين ترجمة سعاد فركوخ الطبعة العربية الأولىٰ ٢٠١١م أزمنة للنشر والتوزيع عمان.
ـ سورين كيركجورد أبو الوجوية د/ فوزية أسعد ميخائيل دار المعارف مصر ١٩٦٢م.
ـ فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،د/ حبيب الشاروني ط/ ٢ ١٩٨٤ كلية الآداب جامعة الإسكندرية .
ــ فلاسفة وجوديون فؤاد كامل عبد العزيز مختارات الإذاعة والتلفزيون.
ــ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها هنتر ميد ، ت/ د/ فؤاد زكريا. دار النهضة القاهرة ـ
ـ فلسفة جان بول سارتر د/ حبيب الشاروني ص٣٧منشأة المعارف الإسكندرية ــ حكمة الغرب
ـ فلسفة الدين عند كيركجارد حسن يوسف مكتبة دار الكلمة القاهرة ٢٠١٦.
ـ الفلسفة المعاصرة د/ نازلي إسماعيل .كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٢.
ـ الفلسفة الوجودية د/ زكريا إبراهيم ، سلسلة اقرأ ،العدد ١٦١ دار المعارف ،مصر.

ـ في الفكر الحديث والمعاصر ، د/ علي عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٢م.
ـ القلق الإنساني (مصادره ـ تياراته ـ علاج الدين له) د/ محمد ابراهيم الفيومي .ط/ ٣ مكتبة الأنجلو ١٩٩١م.
ـ (كيركجرد)تأليف/ فريتيوف برانت ، ت/ مجاهد عبد المنعم مجاهد سلسلة أعلام الفكر العالمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/ ١ ، ١٩٨١م.
ـ كيركيغارد ، بيار مسنار ، ترجمة عادل العوا منشورات عويدات بيروت باريس ط/ ١ ١٩٨٣ م..
ـ مدخل إلىٰ الفلسفة المعاصرة د/ محمد مهران ،دارالثقافة للنشروالتوزيع١٩٨٤م
ـ المذاهب الوجودية من كيركجور إلىٰ جان بول سارتر ريجيس جوليفية ، ترجمة / فؤاد كامل ، مراجعة محمد عبد الهادي أبو ريدة دار الآداب بيروت ط/ ١، ١٩٨٨م.
ـ مشكلات فلسفية ج٢/ مشكلة الإنسان د/ زكريا إبراهيم مكتبة مصر .
ـ م٦/ المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر.
ـ مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ،د/ سعد عبد العزيز جباتر ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠م.
ـ مع الفيلسوف د/ محمد ثابت الفندي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت١٩٨٠م .
ـ المعجم الفلسفي ، د/ جميل صليبا ،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان ١٩٨٢م .

ـ المعجم الفلسفي،د/ عبد المنعم الحفني الدارالشرقية مصر ط/ ١، ١٤١٠ ه ١٩٩٠م .
ـ المعجم الفلسفي ، د/ مراد وهبة دار قباء الحديثة ، القاهرة ٢٠٠٧م ،
ــ المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية ، اشراف/ د / ابراهيم مدكور ،ط ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م القاهرة
ـ معنىٰ الوجودية (دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية) عبد المنعم الحفني منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
ـ مقالات عن الوجودية (أبو الوجودية) أنيس منصور دار الجمهورية .
ـ من فلسفة الوجود إلىٰ البنيوية دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية ت.أ ساخارفا ، ترجمة وتقديم / أحمد برقاوي ،دار دمشق .ط/ ١ ١٩٨٤م.
ـ من القيم الإنسانية في الإسلام للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر ذي القعدة ١٤٢٨ه الجزء الثاني.
ـ منهج التربية الإسلامية محمد قطب ، دار الشروق ط/ ١٦ .
ـ الموسوعة الميسرة في الفكر الإسلامي والاجتماعي د/ كميل الحاج ط/ ١، ٢٠٠١م مكتبة لبنان ناشرون .
ـ موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب/ خليل أحمد خليل ، إشراف / أحمد عويدات ، منشورات عويدات بيروت ط/ ٢، ٢٠٠١م .
ـ هذه هي الوجودية بول فولكييه ، ترجمة محمد عياتي دار بيروت للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٥٦م.
ـ الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر د/ صفاء عبد السلام جعفر ، منشأة المعارف الإسكندرية ،٢٠٠٠م.
ــ الوجودية جون ماكوري ترجمة/ د إمام عبد الفتاح إمام ،مراجعة / د فؤاد زكريا دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.

ـ الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ،د/ محمد غلاب ،الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م .
ـ الوجودية (مقدمة قصيرة جداً) توماس آرفلين ،ت/ مروة عبد السلام كلمات للترجمة والنشر ط/ ١، ٢٠١٤ .

فهرس الموضوعات